ماجد سليمان دودين

وصايا ونصائح للنساء

دار الإسراء
دار الأرقم

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الإسراء للنشر والتوزيع

القاهرة : ت ٦٧٦٠١٣
عمان - الأردن : ت ٨٤٣٥٣٢ - ص.ب ٦٧٩٧٠

لصاحبها : نادر موسى الحيتاوي

رقم الإيداع :

١٩٩٠ / ٧١٩٤

مطابع النور باكة ت ، ٢٤٨٧١٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« ماجد سليمان دودين »

وصايا ونصائح إلى المرأة المسلمة

١. التقوى
٢. العلم
٣. الصلاة
٤. طاعة الزوج
٥. الأخلاق
٦. بر الوالدين، الأرحام، الجيران
٧. الحور العين
٨. نداء إلى حوار
٩. القدر
١٠. الوصية العظيمة
١١. فضائل الذكر وفوائده
١٢. المرأة في الحضارات الأخرى
١٣. الزوجة الصالحة
١٤. التحدي الكبير
١٥. أعظم قصة زواج
١٦. اللحظة الحرجة
١٧. صفقة الحياة
١٨. التبرُّج
١٩. غض البصر
٢٠. أسباب وآثار التبرج والاختلاط
٢١. شروط الحجاب الشرعي
٢٢. الآفة المهلكة
٢٣. العجوز المعجزة
٢٤. قضايا جنسية
٢٥. آيات للموقنين
٢٦. الصبر عند الصدمة الأولى
٢٧. المرأة الحكيمة الصابرة
٢٨. نموذج مغاير خاسر
٢٩. الموازين الإيمانية
٣٠. الإيثار
٣١. البشارة العظمى
٣٢. أشد حياءً من العذراء
٣٣. قدسية الأسرار
٣٤- الكذب المباح
٣٥. التعاون المثمر
٣٦. خرافات قاتلة
٣٧. لكِ أجر
٣٨. ستر من النار
٣٩. الرفق بالحيوان
٤٠. لعنتها الملائكة !
٤١. خصلة الأبرار
٤٢. درء المفاسد
٤٣. الحياة الدنيا وزينتها
٤٤. زينةٌ ولكن !
٤٥. من الموبقات
٤٦. وصية ثمينة
٤٧. امرأة مجاهدة
٤٨. الجنة سلعة غالية
٤٩. قناعة، وبساطة وتواضع
٥٠. خاتمة المطاف

* خمسون وصية جامعة في العقائد والعبادات، والآداب، والأخلاق والسيرة وكل ما يهمُّ المرأة المسلمة في أمور دينها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بنعمته ... المعبود بقدرته ... المطاع بسلطانه .... المرهوب من عذابه وسطوته ... النافذ أمره في سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته ... وميزهم بأحكامه ... وأعزهم بدينه ..... وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أما بعد :

إن المتدبر فى كتاب الله العظيم والمتأمل المدقق فى أحاديث الرسول الكريم يجد ألوف الوصايا العامة الموجهة الى المؤمنين من الجنسين ..... ففى كل آية مبدوءة بقوله تعالى :" يأأيها الذين آمنوا ...... " نجد الوصايا الربانية التي تأمر بالمعروف والخير وتنهى عن المنكر والشر .... نجد الوصايا الشافية التى تحث على العلم والتقوى والصدق والوفاء والعدل والإخلاص وبر الوالدين وأداء الأمانة ... الخ . ونجد الوصايا الحكيمة بالبعد عن الزنا والربا والكذب والخيانة والغدر والظلم ... الخ " يأأيها الذين آمنوا اتقواالله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مس"آل عمران١٠٢ .

" يأيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيرا من الظن ...." الحجرات ١٢ .

" يأأيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين " البقرة ٢٠٨ .

" يأأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مـــــع الصابرين " البقرة ١٥٢ .

" يأأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " المائدة ١

" يأأيها الذين آمنوا " تتكرر أكثر من ثمانين مرة فى كتاب الله ، يخاطب الله بها أهل الايمان ويبين لهم التكاليف الشرعية التي توصلهم الى مرضاته جل وعلا والي السعادة فى الدارين : دار الممر ودار المقر .

وكذلك الحال فى أحاديث الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، هذه الأحاديث التى جاءت بوحي من الله لتبين وتشرح وتفسر وتوضح أيات كتاب الله العظيم " ألا ، وإنى أوتيت القرآن ومثله معه " (١) فالسنة صنو القرآن ، وهي وحي مثله ، وملازمة له ، ولاتكاد تفارقه و لايكاد القرآن يفهم كما يجب أن يفهم ، الا بالرجوع الى السنة فى كثير من أياته ، ولاسيما أيات الأحكام :

" إتق الله حيثما كنت ، وإتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " رواه أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى .

" اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامه " رواه أحمد والطبرانى " اجتنبوا السبع موبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " متفق عليه .

هذه الوصايا الحكيمة العظيمة فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة هى ذاتها التكاليف الشرعية المطلوبة من الرجال والنساء على حد سواء :

" من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون " النحل ٩٧ .

" ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا " النساء ١٢٤ .

فالنساء شقائق الرجال ومن الوهم والجهل والضلال أن يعتقد بعض الناس أن القرآن يخاطب الرجال وينسى النساء ولكن الخطاب يوجه الى الرجل بصورة تغليبية وتكون المرأة معنية ومقصودة بالأمر أو النهى كالرجل تماما سواء بسواء علاوة على أن للغه العربية أسلوبها المتميز فى الخطاب باستخدام حروف تفيد العموم والشمول .

---

(١) رواه أبوداود والترمذى وغيرهما باسناد صحيح .

ومن بين هذه الكنوز الروحية المعنوية العظيمة القيمة التى تستعصى على الحصر سنقطف من بستان الاسلام المثمر باقة من الوصايا والنصائح نهديها الى المرأة المسلمة وهنا ربما يقفز الى الذاكرة السؤال على لسان القارىء :

" لماذا توجه هذه الوصايا والنصائح الى المرأة بصورة خاصة ؟!

وللاجابة على هذا السؤال المشوب بالتعجب والاستهجان نقول:

- لأن المرأة فى ميزان الاسلام جناح لاتقوم الحياة الانسانية ولاترقى الا في ظل عملية التنسيق والمواءمة بينه وبين الجناح الآخر وهو الرجل .

- لأنه لافضل لذكر على أنثى ، ولاأنثى على ذكر ، فهما سواء فى تأدية ماوكل اليهما ، وليس التفاضل بالجسم أو بالوزن ، أو باختلاف الخلق ، انمـــــا التفاضل بالتقوى ، فأيهما سبق فى أعمال البر ، واجتهد فى بث الخير ، واستطاع أن ينفع الناس ، فله الفضل وله المثوبة وله جنات النعيم ذكرا كان أو أنثى . فالمرأة عند الله أخت الرجل لاتيفاضلان الا بالتقوى .

- هذه الوصايا توجه الى المرأة فى هذه الفترة العصيبة التى يستر فيها الدس الذى يمكر به أعداؤها المتسمون - زورا وبهتانا - بأنصارها ، وهم فى واقع الأمر عاملون لافساد فطرتها ، وتعطيل وظيفتها ، وتشتيت أسرتها ، وبالتالى الى انحدار المجتمع الاسلامى كله الى مكان سحيق من الانحلال والضلال .

- هذه الوصايا نقدمها الى المرأة المسلمة لأن المرأة اذا صلحت صلحت الأسرة ثم صلح المجتمع ، والعكس صحيح أيضا . وما أصدق حافظ ابراهيم فـــــى قولــه :

أعددت شعبا طيب الأعراق الأم مدرسة اذا أعددتها

- هذه الوصايا نقدمها فى وقت كثر الحديث فيه عن تحرير المرأة المسلمة وتطويرها ، وتعددت المحاولات المغرضة والجهود المسمومة لتبديل خلق الله فيها ، وصرفها عن مكانها الذى دفعها الاسلام اليه : أما موقرة محترمة ، أو أختا

عزيزة كريمة ، أو بنتا حبيبة أثيرة ، أو زوجة شريكة مصطفاة .

– هذه الوصايا نقدمها الى المرأة – التقية النقية – التى تمثل أكسجين حيا الرجل التقى النقى وتمثل الاسم الرائع والرمز الجميل واللحن العذب والوطر الغالي والحب الكبير والجمال الشجي والمودة والرحمة والسكن والحق والخير والجمال والصورة الصادقة والنظرة الصاعبة والفكرة الواعية والقلب البرى والعقل المتزن والضمير اليقظ ...... وتمثل السمو والسناء وكل معاني الطيبا والعطاء والنقاء والوفاء والصفاء والحياء .... أجل المرأة المؤمنة الصادقا المخلصة تمثل كل هذا وأكثر وأكبر من هذا لأنه بصلاحها تصلح أجيال وأجيال ......وبصلاحها يصنع الرجال والأبطال والعظماء وصدق من قال " وراء كل عظيم امرأة " ، والمرأة التى تهز السرير بيمينها تهز العالم بشمالها " (١) .

هذا وجه من وجوه القضية ولها وجه آخر وهو أن هذه الوصايا والنصائح موجهة الى صنفين وفئتين ونوعين من النساء : النوع الصالح والنوع الطالح .

فكما أن وراء كل عظيم امرأة نجد أن وراء كل فاشل امرأة فالمرأة التى تهز خصرها يمنه ويسره وتخضع فى القول وتتقصع فى المشية وتعرى الجسد .... المرأة الكاسية العارية .... المائلة المميلة أخطر على البشرية من القنابل الذرية والهيدروجينية .*

(١) لاضير من الاستشهاد بقول " نابليون " علي الرغم مما سببه للبشريةمن كوارث فالمسلم يقبل قول الحق بغض النظر عن سلوك قائله .

* لقد دار حوار بيني وبين طبيب أمريكي – ناف عن الستين من عمره – حول الاسلام ونظرته الى الكون والانسان والحياة مقارنة بالديانات الأخرى ومن بين المواضيع التى تطرق النقاش اليها صورة المرأة فى الاسلام – الصورة المشرقة – وصورتها المهينة فى الغرب والشرق فكتب لى علي قصاصة من ورق : " ان الخطر الذى يهدد البشرية ليس خطر الطاقة الذرية وانما الخطر الحقيقي يكمن فى الطاقة الجنسية " . وهذا قول حق فالاحصائيات الرسمية فى أمريكا تشير الى مايزيد على مليون حالة اجهاض فى كل عام علاوة على الأرقام الهائلة فى عدد المصابين بالهيربس والايدز وغيرهما من الأمراض الجنسية الفتاكة .

ان هذه النصائح والوصايا ضرورية أشد الضرورة ومهمة غاية الأهمية حتى نصل الى ماوصل اليه الغرب أو الشرق من الإنحطاط والتردى والإرتكاس والانتكاس في كل مجالات الحياة وبخاصة مجال الأسرة والحياة الاجتماعية .

- هذه الوصايا هدية الى الطائفتين .... الى الفئتين :

(١) فئة تشكل -ولاحول ولاقوة الا بالله - تشكل قلة قليلة من أخواتنا المؤمنات الملتزمات بشرع السماء ...... الطاهرات المحجبات الطيبات العفيفات الشريفات .. وأهمية النصائح لهذه الطائفة أنها تعزز وتدعم ايمانهن وتقوى الثقة فى نفوسهن بأنهن على الخير والاستقامة والهدى فبهذه الوصايا يأتى الثبات - باذن الله - على النهج القويم والصراط المستقيم لأن ماتكرر تقرر وفى الإعادة إفاده والذكرى تنفع المؤمنين

(٢) وفئة أخرى تشكل - وللأسف الشديد - السواد الأعظم والكثرة الكاثرة من أخواتنا اللواتى سقطن فى شبكة التقليد الزائف .. التقليد الأعمى .... فأسلمن زمام أمورهن لشياطين الجن وشياطين الانس وهوى الأنفس .... والشيطان يفتح ذراعيه للمنتسبين إلى الجحيم ومن هنا تأتى أهمية هذه الوصايا لهذه الفئة كمحاولة للتذكير وصرخة للتحذير من عواقب السقوط فى طريق الغواية والسير فى درب الضلال .فالدين النصيحة ومع النصيحة والتذكير والدعوة والإنذار والتحذير يكون الأمل بالإستجابة والإنابة والرجوع الى الهدى والنور والخير والطهر. .... والله ولى التوفيق .

ولنشرع فى الوصايا يحدوها أن تثمر - برحمة الله - الهدى والخير والبركة والنور والطهر .

ماجد سليمان دودين

التقوى

أول الوصايا وأعظمها الوصية بتقوى الله لأنها وصية الله للأولين والآخرين " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله " النساء ١٣١ التقوى هي السلاح الأقوى فما من خير عاجل ولاآجل ، ظاهر ولا باطن ا! وتقوى الله سبيل موصل اليه ، ووسيلة مبلغة له ، مما من شر عاجل ولا آجل ظاهر ولاباطن الا وتقوى الله عز وجل حرز متين وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره .

وكم علق الله العظيم في كتابه العزيز على التقوى من خيرات عظيمة وسعادات جسيمة من ذلك

× البشرى بالعون والنصرة " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " النحل ١٢٨ .

× البشرى بكفارة الذنوب وتعظيم المتقى بتعظيم أجره " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا " الطلاق ٥ .

× البشرى بالمغفرة " واتقوا الله ان الله غفور رحيم " الانفال ٦٩ .

× البشرى بالخروج من الغم والمحنة " ومن يتق الله يجعل له مخرجا " الطلاق٢

× البشرى بالرزق الواسع مع الأمن " ويرزقه من حيث لايحتسب " الطلاق٢ .

× البشرى بالنجاة من العذاب والعقوبة " ثم ننجى الذين اتقوا " مريم ٧٢

× بشارة الحب من الله " ان الله يحب المتقين " التوبة ٤ .

× قبول الصدقة " انما يتقبل الله من المتقين " المائدة ٢٧ .

× البشارة بالجنات والعيون " ان المتقين فى جنات وعيون " الحجر ٤٥ .

× البشارة بالفلاح " واتقوا الله لعلكم تفلحون " آل عمران - ١٣٠ .

هذه بعض البشارات التي ذكرها الله سبحانه في كتابه العظيم وبشر بها أهل التقوى الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه .... الذين يراهم الله حيث

أمرهم ولايقدمون عنى مانهاهم عنه .

المتقون هم الذين يعترفون بالحق قبل أن يشهد عليهم ويعرفونه ويؤدونه ، وينكرون الباطل ويجتنبونه ويخافون الرب الجليل الذى لاتخفى عليه خافية .

المتقون يعملون بكتاب الله فيحرمون ماحرمه ويحلون ماأحله ... ولايخونون فى أمانة ولايرضون بالذل والاهانـــة ولايعقون ولايقطعون ، ولايؤذون جيرانهم ولايضربون اخوانهم ، يصلون من قطعهم ، ويعطون من حرمهم ، ويعفون عمن ظلمهم .... الخير عندهم مأمول ، والشر من جانبهم مأمون .... لايغتابون ولاينافقون ولاينمون ولايحسدون ولايرابون ولايقذفون ولايأمرون بمنكر ولاينهون عن معروف ، بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، تلك صفات المتقين حقا الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون .

لو تحلى كل منا بالتقوى لحسن عمله ، وخلصت نيته ، واستقام على الهدى ، وابتعد المعاصى والردى ، وكان يوم القيامة من الناجين .

ولنستمع الى وصف المؤمن التقى للامام على رضى الله عنه : " المتقون هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كما نزلت فى الرخاء ولولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب .

عظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة وتجارة مربحة يسرها لهم ربهم . أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها ، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا

وظنوا أنها نصب أعينهم واذا مروابآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زئير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون الى الله تعالى فى فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون اذا زكي أحدهم خاف مما يقال فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بي من نفسى : اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لي مالايعلمون .

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين وحزما فى لين وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعلما فى حلم وقصدا فى غنى وخشوعا فى عبادة وتحملا فى فاقة وصبرا فى شدة وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى وتحرجا عن طمع . يعمل الأعمال الصالحة وهو علي وجل ، يمسى وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ويصبح فرحا ، حذرا لما حذر من الغفلة ، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما تحب . قرة عينه فيما لايزول ، وزهادته فيما لايبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، فنزورا أكله سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون .

ان كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين وان كان فــــى الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ، مدبرا شره ، فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور .

لايحيف على من يبغض ، ولايأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه

، لايضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ماذكر ، لاينابز بالألقاب ، ولايدار بالجار ، ولايشمت بالمصاب ، ولايدخل في الباطل ، ولايخرج من الحق .

إن صمت لم يغمه صمته ، وان ضحك لم يعل صوته ، وان بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، نفسه منه فى عناء والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه .بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولادنوه بمكر وخديعة .

ماأروعه من وصف للتقاة على لسان الخليفة المهدى الراشد الذى نهل من مشكاة النبوة فأحب الله ورسوله وأحبه الله ورسوله .

وحتى تكتمل دائرة الوصية الأولى والأهم والأعظم ولأننى أريدها الأساس الذى أقيم عليه بقية أركان البناء القوى المتماسك أنقل هذه القصيدة :الايمانية لشاعر مؤمن يتحدث عن التقوى ومنافعها ويقول

عليكم بتقوى الله لاتتركونه	فان التقى أقوى وأولى وأعـدل
لباس التقى خير الملابس كلها	وأبهى لباسا في الوجود وأجمل
فماأحسن التقوى وأهدى سبيلها	بها ينفع الانسان ماكان يعمـل
فياأيها الانسان بادر الى التقى	وسارع الى الخيرات مادمت ممهل
واكثر من التقوى لتحمد غبها	بدار الجزاء دار بها سوف تنزل
وقدم لما تقدم عليه فانمـــاغد	سوف تجزى بالذى سوف تفعل
وأحسن ولاتهمل اذا كنت قادرا	فدار بني الدنيا مكان الترحـــل
وأد فروض الدين وأتقن أداءها	كوامل فى أوقاتها والتنفـــــل
وسارع الى الخيرات لاتهملنها	فانك ان أهملت ماأنت مهمــــل
ولكن ستجزى بالذى أنت عامل	وعن مامضى عن كل شي ستسأل
ولاتلهك الدنيا فربك ظامـــــن	لـــرزق البرايا ظامن متكفــــل
ودنياك فأعبرها وأخراك زد لها	عمـــارا وايثارا ان كنت تعقـــل
فمن آثر الدنيا جهول ومن يبع	لأخراه بالدنيا أضـــل وأجهـــل
ولذاتها والجاه والعز والغنـــي	بأضـــدادها عما قيـل تبـــدل

فمن عاش في الدنيا وان طال عمر ... فلابد عنها راغماسوف ينقـــل
وينزل دار لاأنيس له بهـــــا ... لكل الورى منهم معاد وموئل
ويبقى رهينا بالتراب بما جنى ... الى بعثه من أرضه حين ينســل
يهال بأهوال يشيب ببعضها ... ولا هول إلا وبعده الهول أهـــول
اوفي البعث بعد الموت نشر صحائف ... وميزان قسط طائش أو مثقـــل
وحشر يشيب الطفل منه لهوله ... ومنه الجبال الراسيات تزلزل
ونار تلظى في لظاها سلاسل ... يغل بها الفجار ثم يسلســـــل
شراب ذوى الاجرام فيها حميمها ... وزقومها مطعومهم حين يؤكــل
حميم وغساق وآخر مثله من ... المهل يغلي في البطون ويشعــل
يزيد هوانا من هواها ولايزل ... الى قعرها يهوى دواما وينـــزل
وفي ناره يبقى دواما معذبا ... يصيح ثبورا ويحه يتولـــول
عليها صراط مدحض ومزلة ... عليه البرايا في القيامة تحـمل
وفيـه كلاليب تعلق بالـورى ... فهذا نجا منها وهذا مـــخردل
فلا ذنـب يفديه مايفتدى به ... وان يعتذر يوما فلا العذر يقبل
فهذا جزاء المجرمين على الردى ... وهذا الذى يوم القيامه يحـصل
أعوذ بربي من لظى وعذابـها ... ومن حال من يهوى بها يتـجلجل
ومن حال من في زمهرير معذب ... ومن كام في الاغلال فيها مـكبل
وجنات عدن زخرفت ثـم ازلفت ... لقوم علي التقـوى دواما تبتـل
بها كل ماتهوى النفوس وتشتهي ... وقرة عين ليس عنـها تـــرحل
ملابسهم فيها حرير وسندس ... واستبــرق لايعتـــريه التـحلل
ومأكولهم من كل مايشتـهونه ... ومن سلسبيل شربهم يتسلســل
وأزواجهم حور حسان كـواعب ... على مثل شكل الشمس بل هوأشكل
يطاف عليهم بالذى يشتـهونه ... اذا أكلـــوا نوعا بآخر بدلـــوا
فواكهها تدنوا الى من يريدها ... وسكانها مهما تمنــوه يحصـــل
وأنهارها الألبان تجرى وأعسل ... تناولها عنـــد الارادة يسهـــل

بها كل أنواع الفواكه كلهـــا خمـــر وماء سلسبيل معســـــل
يقال لهم طبتم سلمتم من الأذى ســـــلام عليكم بالسلامة فادخلوا
بأسباب تقوى الله والعمل الذى يحب الى جنات عدت توصـــــلوا
اذا كان هذا والذى قبله الجزاء فحق على العينين بالدمـــع تهمل
وحق على من كان بالله مـؤمنا يقـــدم له خيــــرا ولايتعـــــلل
وأن يأخذ الانسان زادا من التقى ويـوم طويــل ألفـ عام وأطـــول
فيالك من يوم على كل مبـــطل فضيع وأهوال القيـــامة تعضـــل
تكون به الأطواد كالعهن أو تكن كثيبـــا مهيـــلا أهـــيلا يتهلهل
به ملة الاسلام تقبل وحدهـــا ولاغيـــرها من أى ديـــن فيبـــطل
به يسألون الناس ماذا عبدتموا وماذا أجبتم من دعا وهو مرســل
حساب الذى ينقاد عرض مخفف ومن ليس منقادا حساب مثـــقل
ومن قبل ذاك الموت يأتيك بغتة وهيهات لاتدرى من الموت ينـــزل
كؤوس المنايا سوف يشربها الورى علـــى الرغم شبان وشيب وأكــهل
حنانيك بادرها بخير فانمـــا على الآلة الحدبا سريعا ستحـــمل
اذا كنت قد أيقنت بالموت والفنا وبالبعث عـــما بعده كيف تغفــل
أيصلح ايمان المعاد لمنصـــف وينسى مقام الحشر من كان يعـقل
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى أبن لى أبن يوم الجزا كيف تفـعل
أترضى بأن تأتي القيامة مفلسا على ظهرك الأوزار بالحشر تحمـل
الهى لك الفضل الذى عمم الورى وجـود علـى كل الخلـيقة مسبـــل
وغيرك لو يملك خزائنك التـــي تـزيد مـع الانـــفاق لابد يبـخل
وانـــي بك اللهم ربـــي لواثق ومـالي ببـــاب غير بابك مدخـــل
واني لك اللهم بالدين مخلصا وهمي وحاجاتي بجودك أنـــزل
أعوذ بك اللهم من ســوء صنعنا وأسـألك التثبيت أخـــرى وأول
الهى فثبتني على دينـــك الذى رضيت به دينا واياه تقـــبل
وهب لى من الفردوس قصرا مشيدا ومـــن بخيـــرات بها أتعـجل

ولله حمد دائم بدوامـــــــة | مدى الدهر لايفنى ولاالحمد يكمل
يزيد على وزن الخلائق كلهـا | وأرجح من وزن الجميـــع وأثقل
واني بحمدالله في الحمد ابتدى | وأنهي بحمد الله قـــولي وابتدى
صلاة " وتسليما " وأزكي تحية | تعم جميع المرســلين وتشمـــل
وأزكي صلاة الله ثم سلامه | علي المصطفي أزكي البرية تنزل

هذه القصيدة الجامعة الشافية الكافية بينت أن سر الفلاح فى الدنيا والآخرة يكمن في تقوى الله تعالي لأن التقوى سبب كل خير يصيب العبد والبعد عن التقوى سبب كل المصائب . ولهذا بدأت الوصايا بالتقوى لأنها الأساس والأصل والجذر لأنطلق الى الخيرات التي تتفرع عن هذا الأصل الأصيل .

فلنرفع أكف الضراعة وندعو :

" اللهم انا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى "

" اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك وأسعدنا بتقواك ولاتشقنا بمعصيتك "

اللهم ارزقنا التقوى واكرمنا بها واغننا بالعلم وزينا بالحلم وجملنا بالعافية " اللهم آمين .... آمين ...... آمين .

فضل العلم

طلب العلم فريضة كتبها الله على كل مسلم ومسلمة ، وفضل الله العلماء من الناس علي غيرهم " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بماتعملون خبير " المجادلة ١١ .

وحث رسول الله صلي الله عليه وسلم علي العلم وبين أن طلب العلم يقود الى الجنة "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة "رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه وغيره

وهذا الطريق الى الجنة يسهله الله لمن سلك الطريق المادى بالمشي الى مجالس العلم مثل مطالعته فى الكتب ومدارسته وحفظه وكتابته وفهمه ، فان الله عز

وجل يسهل له به طريقا الى الجنة ، فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بجنته الا بالعلم النافع الذى يوصل الى الله تعالى ، من هنا نفهم السر في أن الله تعالي جعل فاتحة الوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم أمرا بالعلم وبوسائل العلم ، وتنبيها الى نعمته وشرفه وأهميته فى التعرف علي عظمة الخالق عز وجل وادراك أسرار الخلق فقال سبحانه " اقرأ باسم ربك الذى خلق *خلق الانسان من علق *اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم *علم الانسان مالم يعلم " العلق ١-٥ .

واذا كان العلم النافع هو عنوان الفضل فان المؤمن لايشبع منه ويحركه قول الله تعالي " وقل رب زدنى علما " طه ١١٤ يحركه الى طلب المزيد . كيف لا ، والرسول صلي الله عليه وسلم يقول " لابورك لي بطلوع شمس يوم لا أزداد فيه علما يقربني من الله عز وجل " وللعلم لذة لايدركها الا من اعتاد على رياضه . وهذه حقيقة أخبر بها من علمه ربه فأحسن تعليمه وأدبه فأحسن تأديبه اذ يقول عليه الصلاة والسلام " منهومان لايشبعان : طالب علم -وطالب دنيا" لقد حث النبي عليه السلام على التفقه فى الدين لأن الفقه فى الدين هو الخير كل الخير " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " متفق عليه والفقه معناه تفهم مسائل الدين من صلاة وصوم ومعاملة ونكاح ، وعلوم الشريعة .... وهذا العلم يثمر الزهد فى الدنيا والورع واجتناب الشبه والاكثار من العمل الصالح والعبادة .

لقد شبه الله جل وعلا العالم بالبصير والسميع وشبه الجاهل بالأعمى الأصم ، ونفى المساواة بينهما فقال جل شأنه " مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون " هود ٢٤ . وقد شبه الله العلم بالنور والجهل بالظلمات ونفي الفرق بينهما كما وصف العلماء بصفات هى عنوان الاخلاص ودليل التوفيق ومن هذه الصفات علي سبيل المثال لا الحصر :

(١) الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق .

(٢) صلة جمع الأقارب وموالاة المؤمنين ومودة الصالحين ومحبة العاملين وعدم

هجرانهم .
(٣) خوف الله تعالي فلا شر يقع منهم ، ولاأذى لمخلوق ، ولاترك واجب ، ولافعل معصية ولذا قيل " رأس الحكمة مخافة الله " .
(٤) الخوف من الحساب يوم القيامة ، فيجتهد العالم في العمل الصالح وتطهير صحائفه لينجو من الشدائد .
(٥) اقامة الصلاة في أوقاتها تامة الأركان والشروط ويأمر أهله بها ويصطبر عليها ، مقابلة السيئة بالحسنة .
فالعلم عنوان العز ومعين البر ، وباب العلا ، والخل الوفي ، والصاحب الموصل الى الجنة الى جوار الأنبياء والشهداء .
وصدق الشاعر اذ يقول

ماالفخر الا لأهل العلم أنهم | علي الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدركل امرىء ماكان يحسنه | والجاهلون لأهل العلم أعـداء
ففز بعلم تعش حيـا به أبـدا | الناس موتى وأهل العلم أحياء

ويروى عن معاذ رضي الله عنه " تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لايعلم صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر علي السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة للخير تقتفي آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ،

بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد ويمجد ، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحترمه الأشقياء " .

أختاه : يقول" ابن الجوزى " : " المرأة شخص مكلف كالرجل ، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها لتكون من أدائها على يقين . فان كان لها أب أو أخ أو زوج أو محرم يعلمها الفرائض ، ويعرفها كيف تؤدى الواجبات ، كفاها ذلك ، وان لم يكن سألت وتعلمت فان قدرت على امرأة تعلم ذلك تعرفت منها ، والا تعلمت من الأشياخ وذوى الأسنان من غير خلوة بها ، وتقتصد على قدر اللازم . ومتى حدثت لها حادثة في دينها سألت ولم تستح ، فان الله لايستحى من الحق تقول عائشة رضى الله عنها : "نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين " .

هذا مايقوله العلامه ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة بينما يرسل "النسائيون " فى زماننا الدعاوى العراض الطوال عن جهل المرأة المسلمة ، ويزعمون زورا وبهتانا : ان الاسلام يحرمها من التعليم ، أو يحرمه عليها . مع أن الاسلام – كما بينا – يحض على تعليمها ويجعله فرضا كما هو فرض على الرجل ولكنه لايذهب بعيدا فى مدى تعليمها مالاتحتاج اليه فى بيتها ، ومعاملة زوجها ، وتربية أولادها ، وشئون دينها وأركانه وواجباته وعباداتهمن الصلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها .

وعلى المرأة أن ترسخ عقيدتها الدينية ، وتتوجه الى السماء دائما لترتفع بأعمالها وعقيدتها وتضحياتها فى سبيل الزوج والأولاد ، عن المستوى الأرضى المادى الحقير .

وفى قصص أمهات المؤمنين من زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسيرة

النساء الأوائل فى تاريخ الاسلام من زوجات الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان : أمثلة رائعة ، ونماذج مشرقة لعلم المرأة المسلمة وخلقها وأدائها لوظيفتها الطبيعية التي خلقها الله من أجلها (١) .

والاسلام وهو يحث المرأة على التعلم يريد منها أن تتعلم كل ماتستطيع أن تعلمه بدورها لمثيلاتها من النساء ، فتنتفع به بنات جنسها : كالطب النسائى وطب الأطفال والتمريض والتوليد ، والتدريس في معاهد البنات وادارة هذه المدارس النسائية حيث تؤدى خدمة انسانية ووظيفة نافعة من ناحية ، وحيث تؤمن فتنتها والفتنه بها من ناحية أخرى ، اذ تؤدى عملها فى محيط نسائي خاص .

والاسلام يحث على تعليم المرأة لمصلحة بيتها وأولادها فأولاد الأم المتعلمة تتوفر فيهم عادة الصحة والذكاء ومكارم الأخلاق لأنهم يعيشون مع أم تغذيهم فكريا وعاطفيا وخلقيا .

ان المرأة – كالرجل – ميزتها وقيمتها الخلق لا العلم بل الخلق الحسن في المرأة مرغوب ومطلوب أكثر منه في الرجل .... لأنها مناط العفاف والشرف والكرامة بالنسبة للزوج والأولاد والأسرة كلها . بل انها " عرض الرجل " يحمد به أو يذم ، وليس الرجل عرض المرأة تمدح به أو تعاب .

وبعد : عليك أختاه أن تقرنى بين العلم والأخلاق لتكونى درة متلألئة وضاءة منيرة بنور العلم والايمان والعمل المثمر البناء .

قال صلى الله عليه وسلم " ماالكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عمله " رواه الطبرانى وغيره .

---

(١) يراجع كتابنا " نداء الى حواء " .

وقال صلى الله عليه وسلم " ان الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " رواه الترمذى ومدح ابراهيم بن حسان العلم والعقل فى أبيات شعرية :

يزين الفتى فى الناس صحة عقله ... وان كان محظورا عليه مكاسبه

يشين الفتى فى الناس قلة عقـله ... وان كرمت أعراقه ومناسـبه

يعيش الفتى بالعقل فى الناس انه ... على العقل يجرى علمه وتجاربه

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الأشياء شىء يقارب

اذا أكمل الرحمان للمرء عقله ... فقد كمـلت أخلاقه ومـآربه .

الصلاة

التقوى تثمر طاعة الله ، وغاية العلم العمل وأعظم الأعمال بعد الشهادتين السجود لله باقامة الصلاة التى هى عنوان العبودية لله العظيم الذى خلقنا من عدم ورزقنا النعم ولذا لابد من اتمام وايفاء عهد العبد مع خالقه وربه ومليكه من خلال الصلاة التى تميز المسلم عن أهل الكفر والضلال " العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر(١) .

ان الصلاة عمود الدين ومفتاح قبول الأعمال عند الله لأنها الصلة بين العبد وربه ، يتقرب بها اليه ويرفع فيها اليه حوائجه ويتطهر بها من ذنوبه وسيئاته . وهى عون على الشدائد وصعوبات الحياة " واستعينوا بالصبر والصلاة " (٢) وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة لأنها تجد فيها من طمأنينه قلبه ونعيم روحهماينسيه هموم الدنيا ويعينه على مواجهة مشاق الحياة ويفتح له أبوابا من الفرج الصلاة تعدل سلوك الانسان وتوجهه نحو الخير وتجنبه مايستقبح من الأقوال والأفعال " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " (٣) وأعلى من ذلك أنها

(١) صحيح ، أخرجه أحمد والترمذى والنسائي وابن حبان والحاكم .

(٣) العنكبوت ٤٥ (٢) البقرة ٤٥

تشتمل على ذكر الله " ولذكر الله أكبر " والصلاة أيضا تهذب النفس وتكسب الانسان الصبر على الضراء والشكر عند الرخاء .

انها لقاء ومقابلة مع الله جل شأنه وزيارة له سبحانه ، ولو أن انسانا لأكرمه غاية الاكرام وقدم له أفضل ماعنده من الشراب والطعام ... هذا اذا زار المخلوق ...... فكيف اذا زار المخلوق الخالق .... والمرزوق الرازق والضعيف القوى والفقير الغنى جل وعلا وتقدس سبحانه !؟ .

كيف يكون اكرام أكرم الأكرمين لضيوفه وزواره ؟!

" قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون " المؤمنون ١-٢ .

" مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر علي باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات " رواه مسلم .

الصلاة قرة عين النبى صلى الله عليه وسلم " جعلت قرة عينى فى الصلاة " (١) ...... " يابلال أرحنا بالصلاة " (٢) ولم يقل صلي الله عليه وسلم أرحنا منها كما يقول الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فى زماننا هذا .

لقد جعل الله الصلاة ركنا أساسيا من أركان الدين وأمر بها النبيين والمرسلين وأتباعهم الى يوم الدين : قال ابراهيم عليها الصلاة والسلام " رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى " ابراهيم ٤٠ .

---

(١) حديث صحيح أخرجه الطبراني وأحمد والنسائي والحاكم.

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود .

وكان اسماعيل عليه السلام " يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا " مريم ٥٥ . وقال عيسى عليه السلام " وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا " مريم ٣١ . وأمر الله محمدا عليه الصلاة والسلام بقوله " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى " طه ١٣٢ .

فلابد - أختى المؤمنة - من الاقتداء بهؤلاء الأطهار الأبرار الأخيار اذا أردنا أن نكون ممن يرثون الفردوس .

ان ميزان الصلاة فى الاسلام عظيم . ومنزلتها عند الله عالية فلابد من الاهتمام بها غاية الاهتمام ولايكتب للعبد من صلاته الا ماعقل منها ولاتصح الا اذا أديت بطمأنينة وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم على نقر المصلى صلاته وأخبر أن النقر صلاة المنافقين .

ان من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولابرهان ولانجاة . وكان يوم القيامة مع قارون ومزعون وهامان وابن أبى خلف " رواه أحمد والطبرانى وابن حبان ....

وروى الشيخان أن " من فاتته صلاة العصر فكانما وتر أهله وماله " أى اذا ذهب وقت الصلاة يكون حال الانسان كحال من خسر أهله وماله .

بعد هذا البيان أستطيع القول " لاخير فى جبهة لاتسجد لله " لأن الذى يعطل جبينه عن السجود لله يكون قد عطل سر وجوده فى هذا الوجود

والهدف الذى خلقه الله من أجله " وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون " الذاريات٥٦

أختى المؤمنة : لاتكونى ممن خف ميزان الصلاة عندهم الى حد تركهم لها ، أو ممن تهانوا بشروطها وأركانها وواجباتها فلايأتون بها كاملة ولايتعلمون أحكامها فيخلون بشرط من شروطها أو ركن من أركانها فلا تصح صلاتهم ولاتقبل منهم ولاترفع الى الله بل اجعليها قرة عين لك وخير زاد فى رحلتك الى الدار الآخرة لتكون بعد رحمة الله السبب فى السعادة والفوز والنجاة والنجاح

لأنها أول مايسأل عنه العبد يوم القيامه فبصلاحها تصلح كل الأعمال وبفسادها تفسد كل الأعمال .

ولنرفع أكف الضراعة ندعو الله سبحانه ونقول :

لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلا	تباركت تعطي من تشاء وتمنــــع
الهى وخلاقى وسؤلى ومـــوئلى	اليك لدى الاعسار واليسر أفزع
الهى لئن خيبتنى وطردتنـــــى	فمن ذا الذى عما أحاذر ينفـــع
الهى لئن جلت وجمت خطيئتي	فعفوك عن ذنبى أجل وأوســـــع
الهى لئن أعطيت نفسى سؤلها	فها أنا فى روض الندامة أرتـــع
الهى ترى حالى وفقرى وفاقتى	وأنت مناجاتى الخفية تســـــمع
الهى فلا تقطع رجائى ولاتزغ	فؤادى فلى فى سيب جودك مطمع
الهى أجرنى من عذابك اننــى	أسير ذليــل خائف لك أخضـــــع
الهى فآنسنى بتلقين حجتي	اذا كان لى فى القبر مثوى ومضجع
الهى لئن عذبتى ألف حجة	فحبل رجائى منـــك لايتقـــطع
الهى أذقنى طعم عفوك يوم لا	بنـــون ولا مـــال هنـــالك ينفع

اللهم ارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم دوام افضالك ومدوا أيديهم الى كرم نوالك وتيقنوا أن لاغنى لهم عن سؤالك وجد علينا وعليهم برحمتك الواسعة واغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين يارب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

طاعة الزوج

طاعة الزوجة لزوجها حق له تستلزمه مكانته في الأسرة بصفته قيما لها ، فمن كانت له القوامة حقت له الطاعة ، فالطاعة اذا هى الوجه المقابل للقوامة واذا انتفت أصبحت القوامة مهمة اسمية جوفاء لاتطبيق لها في واقع الحيـــاةالزوجية .

وليست طاعة المرأة لزوجها الا فرعا من طاعة أولى الأمر التي فرضها الله على عبادة المؤمنين ، ففي سورة النساء نجد قوله تعالى :

" يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " أية ٥٩ ، فالزوج يعتبر ولي أمر الزوجة وبالتالي يجب طاعته ضمن حدود دائرة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن تشق عصا الطاعة على زوجها فقد عصت ربها ... وقد أكد الله تعالى هذه الصفة فى الزوجة الصالحة فى سياق أية القوامة ، فبعد إقرار مبدأ قوامة الرجل وبيان مسوغاتها وصف الله جل وعلا النساء الصالحات وصفا خبريا بقوله " فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ...." النساء ٣٤ .

ونفهم من تعريف " الصالحات " أنهن المتحققات بكمال صفة الصلاح نظرا الى أن أداة التعريف هنا تدل على الكمال بإعتبار استغراق هذه الأداة لكل عناصر الصلاح كما يقول علماء البلاغة .

أما وصف الصالحات بأنهن " قانتات حافظا ت للغيب بما حفظ الله " فهو يدل علي أن المرأة الصالحة لايوجد فيها نقيض هذا الوصف .

وهذا أبلغ من أمرهن بالطاعة وحفظ الغيب ونهيهن عن المعصية وخيانة الأمانة ... وهو أسلوب تربوى رباني حكيم يعتمد على استخدام التوجيه غير المباشر بالتكليف مما يتلاءم والنفس البشرية .

كما يدل على أن هاتين الصفتين هما بمثابة نتيجة لازمة لصلاحهن وانصياعهن لقوامة زواجهن وحمايتهم ولاتتجلى أهمية هاتين الصفتين الا بتحليل معناهما :"

فالقانتات " مأخوذة من القنوت ، والقنوت في كتب اللغة الطاعة والقانت : المطيع ، فالقانتات : المطيعات والسياق هنا يشير الى طاعتهن أزواجهن وطاعتهن الله بقيامهن بما يتوجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن ... وهذا ماذكره المفسرون القدماء وقد أشار الامام الرازى فى تفسيره الى هذا المعنى بطريقة استنباطية بقوله :

" واعلم أن المرأة لاتكون صالحة الا اذا كانت مطيعة لزوجها ، لأن الله تعالى قال " فالصالحات قانتات " والألف واللام فى الجمع يفيد الاستغراق ، فهذا يقتضى أن كل امرأة تكون صالحة فهى لابد وأن تكون قانتة مطيعة " .

وأما قوله تعالي بوصفه القانتات " المطيعات " بأنهن أيضا " حافظات للغيب بما حفظ الله " فهو معني آخر مكمل لصفة الطاعة مبينا دوافعها وأسبابها .... متضمنا بنودها .

وقد ذهب معظم كبار المفسرين الى عدة معان مستخلصة من هذه الآية ، كلها تدور حول ماتقدم فالحفظ للغيب يشمل كل ماعلى المرأة حفظه في غيبة زوجها فيما أستؤمنت عليه من ماديات ومعنويات .. بما فى ذلك أمور تتعلق بنفسها وأنوثتها وعرضها .. وأخرى تتعلق بزوجها من أسرار وأهل وولد وبنت ومال ، والغيب يشمل أيضا كل ما غاب عن علم الزوج واستتر عنه فى حضوره وغيابه ومن تحفظ ماأستؤمنت عليه في غياب زوجها تكون قد استحقت لقب الصالحة القانته " المطيعة " يحدوها فى ذلك أمور مختلفات نستشفها من قوله تعالى : : بما حفظ الله " وقد أشار المفسرون الى هذه المعانى وفسروها بمعان عدة يظهر منها بالتدبر مايلى :

(١) " بماحفظ الله " أى بمقابل ماحفظ الله لهن من حقوق عند أزواجهن وغيرهم ومما حفظ لهن من حقوق عند الأزواج .... حسن العشرة والقيام والقوامة علي الوجه الصحيح وتأدية النفقة وغيرها ....وهذا يجرى مجرى هذا بذاك ، أى أن مطالبة الزوجة بالطاعة وبالحفظ بالغيب هو مقابل بما حفظ الله

لها بأحكامه الشرعية في المجتمع .

(٢) " بما حفظ الله " أى بحدود ماأمر الله بحفظه من أشياء ...وتدخل فيها طاعة الزوج وتأدية حقوقه لأن الله أمر بذلك .

وكما أوصى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم معشر الرجال بحسن عشرة النساء في مناسبات مختلفات استنادا الى المبدأ الشرعي الذى دل عليه قول الله عز وجل في صورة النساء " وعاشروهن بالمعروف " آية ١٩ . فقد أكد علي صفة الطاعة وطلب رضى الزوج من قبل النساء ، والأحاديث الواردة بهذا الشأن كثيرة منها مايلي : قوله صلي الله عليه وسلم " اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت الجنة " .

بل ان طاعة المرأة لزوجها وحسن تقبلها له يرفع أجرها الى مرتبة المجاهدين في سبيل الله ، وقد أخرج البزار والطبراني من حديث ابن عباس رضى الله عنه " ان المرأة قالت : يارسول الله أنا وافدة النساء اليك ! ثم ذكرت ماللرجال من الجهاد وغيره من الأجر والغنيمة . ثم قالت : فمالنا من ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعل " .

وطاعة المرأة لزوجها ينطبق عليها ماينطبق علي طاعة أولي الأمر التي حددها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : " انما الطاعة فى المعروف " وبقولـــه " لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق " فطاعة المرأة لزوجها لاتعنى أن تكون طاعة عمياء تلغى فيها شخصية المرأة لتكون أشبه بآلة تنفذ دون تفكير أو روية بل لابد أن تكون طاعة متبصرة رشيدة ، تعي فيها المرأة ماعليها القيام به وتدرك أن سلوكها هذا فيه مصلحتها ومصلحة أسرتها بكافة أفرادها ... ومصلحة مجتمعها ، مع ضرورة الاشارة الى أن باب الشورى والمراجعة في بعض الأمور فى الأسرة أمر مباح ابتداء . وقد روت كتب السيرة أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم كن يراجعنه " يناقشن أوامره " وتهجره الواحدة منهن

اليوم الى الليل أى طول النهار .
وتطلب الطاعة من الزوجة فى مسيرة الحياة الزوجية فى أمور عدة أهمها :
عدم عصيان الزوج فى أدائه حقه الغريزى الذى شرعه الله له ..... وهذا الأمر بالذات بالاضافة الى أنه حق خاص للزوج ابتداء فقد قال تعالى بشأنه : "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم إن شئتم " البقرة ٢٢٣ .... فان تقاعس الزوجة أو امتناعها عن أدائه يعتبر من كبائر الذنوب التى ترتكبها الزوجة فى حق زوجها ، وقد أكد الرسول الكريم على ذلك بأحاديث مختلفة منها :
" عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
" اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح " متفق عليه . وفى رواية لهما : " اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح " وفى رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها " ومراعاة لهذا الحق فلايجوز للمرأة أن تصوم صيام تطوع وزوجها شاهد الا باذنه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لاتصوم المرأة وبعلها شاهد إلا باذنه " أخرجه البخارى ومن هذه الأمور عدم عصيان الزوج فى ادخال بيته من يكره أو يمنع من دخوله كائنا من كان ، ففى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه : " لايحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ولاتأذن فى بيته الا باذنه " متفق عليه .
وكذلك الأمر اذا منعها من الخروج فعليها أن تمتثل وتقر فى بيتها ... فعن أنس رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : " أيما امرأة خرجت من بيتها بغير اذن زوجها كانت فى سخط الله تعالى حتى ترجع الى بيتها أو يرضى عنها زوجها ومن طاعة الزوج التى يشملها حفظ الغيب محافظة المرأة على نفسها وعلى بيت زوجها وولده وماله وأن ترعى ذلك حق الرعاية فتعف عن

كل ماحرم الله وكره الزوج ، ولا تتصرف فى مال زوجها من غير اذنه ، ولاتنشىء أولادها على أمر لايرضاه الله ولازوجها وقد وصف الرسول الكريم المرأة الصالحة بقوله : " مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله " .

ومن بنود الطاعة أيضا متابعة الزوجة بعلها فى المسكن طالما كان مستوفيا الشروط الشرعية وكان الزوج قائما بحقوقها كاملة ، والا فما معنى "الزوجية " اذا كان كل من شطريها فى طرف ؟ وأين ظلال السكن والمودة والرحمة ؟ ومن فعلت خلاف ذلك تعتبر ناشزه عاصية يحق للزوج الزامها بالعودة الى المتابعة بالمسكن بسلطة القضاء الشرعي ويتجلى حق الزوج فى الطاعة من قبل الزوجة فى أبرز صورة فى مجال تأديبها فى حال نشوزها وفق المراحل المتدرجة التى أمر بها الشارع الحكيم : الوعظ فالهجر فى المضجع فالضرب غير المبرح المأذون به شرعا وفق شروط محددة حتى تفيء الى أمر الله وترجع الى الطاعة التى تعتبر سياجا يحميها من أى تماد من قبل الزوج أو طغيان بغير حق " فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا " النساء ٣٤ . وهذا الأمر فى آية القوامة يحجم دور الزوج ضمن الحدود التى رسمها الشارع ويمنعه من استخدام ماخوله الله من سلطة فى ردعها عن عصيانه فى غير وجه حق .

والمرأة الصالحة القانتة مطيعة بالفطرة ، ومطيعة بالفكرة ، أما طاعتها بالفطرة فتعود الى ماجبلت عليه من صفات وغرائز تتناسب مع المهمات التي خلقت المرأة من أجلها ... وأما طاعتها بالفكرة فترجع الى أن المرأة العاقلة الصالحة تدرك مالها وماعليها وترى أن من واجب الرعية طاعة راعيها لما فى ذلك من المصلحة العامة ... لاسيما وأن جو السكن الأسرى النفسي المفروض توافره فى الأسرة المسلمة لايمكن تحقيه الا اذا تحققت القوامة الرشيدة من قبل الزوج ، والطاعة المتبصرة الحميدة من قبل الزوجة مع ضرورة الاشارة هنا الى

أن طاعة الزوجة سلبا أو ايجابا تسرى الى أولادها بالقدوة والتقليد .

ويكفى المرأة عظة هذا الحديث عن عبدالله بن أبى أوفى رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذى نفس محمد بيده لاتؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه " رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

هذه الوصايا بطاعة الزوجة لزوجها تجعل البيت المسلم مملكة من السعادة والهناء والفرح والسرور والاستقرار النفسي والسكن السعيد وبغير الالتزام من الطرفين بهذا المنهج القويم يتحول البيت الى قطعة من الجحيم وحقل من الألغام التى تفجر أركانه وتقوض بنيانه .

" فمن اتبع هداى فلايضل ولايشقى * ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى " طه ١٢٣-١٢٧ .

الأخلاق

المرأة الصالحة ذات الخلق الكريم ، يزينها الأدب والحياء ، ويحليها الفهم والذكاء لأن الخلق الحسن هو قوام حياة المرأة المسلمة وعليه مدار سعادتها فان رزقته رزقت كل خير ، وان حرمته حرمت كل خير ، ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمن جاء يسأل عن البر " البر حسن الخلق " رواه مسلم . كما سئل عن أكثر مايدخل الجنة ، فقال " تقوى الله تعالى وحسن الخلق : " ان من أحبكم الى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا " رواه البخارى وقال " ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل ، وانه لضعيف

العبادة " رواه الطبراني بسند جيد . والأخلاق الفاضلة تكتسب بالرياضة ، والمواظبة والتعود ، واليك - أختى المسلمة - جملة صالحة منها ، فروضى نفسك عليها ، وتعودى التخلق بها ، وواظبى عليها تفوزين انشاء الله تعالى بحسن الخلق وحسبك خيرا وشرفا حسن الخلق :

(١) الصبر وهو أن تحبسى نفسك على الطاعات ، وفعل الخيرات بلا ضجر ولاملل ، كما تحبسينها بعيدة عن المعاصي وعن كل خلق سيء كالكذب والخيانة والغش والخسة ، والكبر ، والعجب ، والبخل والشح ، والجزع باظهار عدم الرضا بحكم الله ، ومجارى أقداره في عباده .

(٢) الصفح والأعراض عن كل ماتسمعين من كلمات نابية ، أو حركة عنيفة ، فلاتردى على السيئة بالسيئة ، ولكن بالحسنة وهى الكلمة الطيبة ، قابلى الجفاء والغلظة من أفراد عائلتك بالعطف والرحمة واللين ، ان علت أصواتهم اخفضى صوتك ، وان قبحت كلماتهم جملي لفظك ، وطيبى كلماتك ، بهذا تملكين قلوبهم وتظفرين بودهم وقربهم وحسن معاملتهم .

(٣) الحياء والاحتشام فالزمى نفسك بهذا الخلق فانه أخو الايمان ، وجماع البر والاحسان ، فاستحى من الله حق الحياء ، فلايراك على مايكره ، واستحى من الملائكة فلا تتكشفى فى خلوتك مااستطعت . واستحى من زوجك وأهلك ومن سائر الناس ، فلا تقولى البذاء ، ولاتنطقى بالفحش ، ولاتعملى عملا ، أو تقولى قولا يجانب الحشمة والحياء .

ان الحياء كله خير وخير كله ولايأتى الا بالخير فإسترى محاسنك وحسنى كلماتك وغضى بصرك وأطيلى ثوبك ولاتكشفى رأسك ، فلايفارقك خمارك الا اذا خلوت بزوجك فى عقر دارك .

(٤) كونى سخية فلاتبخلى بفضل طعام أو شراب أو كساء ، ابذلي المعروف ، وتصدقي من مال زوجك بعد استئذانه واذنه فتشاطرينه الأجر والمثوبة " ان المرأة اذا تصدقت من مال زوجها باذنه لها نصف الأجر وللزوج النصف " رواه البخارى . فبالصدقة لك المثوبة وتسلمى من العقوبة " فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى " الليل ٥-٧ ، فاحذرى الشح واتقيه بالصدقة القليلة والكثيرة . أحسني الى جارتك كما تحسنين الـــى أقاربك ، واعلمي أن الله تعالى مع المحسنين المخلصين " .

(٥) عليك بالإيثار فأثرى أهل بيتك على نفسك ، فإن الإيثار من أخلاق الصالحين ، وصفات الصديقين " ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " الحشر ٩ . جوعى ليشبع أهل بيتك ، واظمئى ليرووا ، وإتعبى ليستريحوا ، ولاتحسبى هذا نقصا فيك بل هو الكمال ، والجمال ، والجلال ، إنك بإيثارك الخير تصبحين سيدة والسيدة خير من المسودة ، وفى الحديث الشريف " خادم القوم سيدهم " رواه البخارى . وقيل لأحدهم" بم ساد فيكم فلان ؟ قال : إحتجنا اليه ، واستغني عنا " فاعرفى هذا الخلق ، واكسبيه بالرياضة للنفس ، والمجاهدة لها .

(٦) الصمت ، وحسن السمت ، إلزمي هذا الخلق فقللي من الكلام ، ولاتتكلمى الا بخير لقوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " متفق عليه ، واذا تكلمت فأوجزى في الكلام ، وقولي المعروف فقط . قال تعالى فى تأديب نساء النبى صلى الله عليه وسلم : "فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ، ولاتتبرجن تبرج الجاهلية الأولى " الأحزاب ٣٢-٣٣ .

والزمي حين السمت في لباسك ، ومشيك وقعودك ، وفي عملك وقولك ، فتأنى واحلمى ، ولاتغضبى ولاتضجرى ، ولاتفرحى فرح الأشر والبطر ، ولكن احمدى الله تعالى واثنى عليه بنعمه ، واكثرى من شكره وحمده .

(٧) عاملي غيرك بما تحبين أن يعاملوك به ففي الحديث الصحيح " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه " رواه البخارى ومسلم .

تلك أيتها المؤمنة جملة من الأخلاق الفاضلة فتحلى بها ، ،تجملى باكتسابها ، وعيشى عليها تكملى وتسعدى . والله معك ولايتركك " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " النحل ١٢٨ .

(٨) ماأجمل أن تحفظى وصية المرأة البدوية الى ابنتها في ليلة زفافها لتعملى بها كزوجة وأمك لأنها تبين ماينبغى أن تكون عليه الزوجة من خلق في معاملة

زوجها : " أى بنية ، أنت فارقت بيتك الذى خرجت منه ، وعشك الذى درجت فيه الى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبدا ، واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا : أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة . وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وانفه . فلاتقع عينه منك على قبيح ، ولايشم منك الا رائحة طيب ، وأما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت نومه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة . وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسنالتقدير ، وفى العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ، ولاتفشين له سرا ، فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره ، وان أفشيت سره لم تأمني غدره . ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما ، والكآبه بين يديه اذا كان فرحا " .

(٩) احذرى كل الحذر أن تكوني كالمرأة التي وصفها زوجها حين سئل عنهافقال " سليطة اللسان ، كان لسانها حربة . كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات وتفشي السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولاتعين بعلها على الزمان ليس في قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ، اذا دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وان ضحك بكت ، وان بكي ضحكت ، ان طلقها كانت له حريبة ، وان أمسكها كانت له مصيبة ، سعفاء ورهاء - حمقاء ، خرقاء -كثيرة الدعاء ، قليلة الارعاءتأكل لما - تلقم الطعام فتأتي عليه - وتوسع ذما ، صخوب غضوب ، بذية دنية ليس تطفأ نادها ، ولايهدأ اعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، صبيهامهزول ، وبيتها مزبول - قذر - ، اذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة على بابها ، تبكى وهى ظالمة ، وتشهد وهي غائبة قد ذل لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور " . فهذه المرأة مهما بلغت من علو النسب وروعة الجمال لايهنأ معها عيش ، ولايسود البيت الزوجى صفاء ووئام فتغرق سفينة الأسرة وتتحول الى حطام .

بر الوالدين / الأرحام / الجيران

الوالدان هما السبب في وجود الانسان ، والوجود من أكبر النعم على الانسان فينظر كل العقلاء وليس منهم أولئك الذين يرون الحياة ثقلا وغرما ، لأن الحياة نفسها تستثقلهم ، فهم لايصلحون لها ولذلك نراهم يصبون جام غضبهم على من كان سبب وجودهم وفى ذلك يقول شاعرهم :

هذا جناه ابى على   وما جنيت على احد

واذا تركنا هؤلاء المعقدين الحمقى رأينا كافة الناس يعدون الحياة نعمة كبرى يشكرون الله عليها ويشكرون السبب فيها وهو الأبوان ، وحسبهما فضلا أنهما نفذا ارادة الله بعمارة هذه الأرض بهذا النوع من الأحياء البشر .، من أجل ذلك اتفقت الديانات والمبادىء العاقلة على تقديس الأبوين ووجوب احترامهما قال الله تعالى : " واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا " النساء٣٦ .

وقال : " وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا " السراء ٢٣ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم باكبر الكبائر ثلاثا ؟ قالوا بلى يارسول الله ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألالا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت " متفق عليه .

وبعد فان من حقوق الوالدين التى يجب أداؤها مايلى :

(١) اطاعتهما فى كل أمر يأمران به أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى ومخالفة لشريعته .

(٢) توقيرهما وتعظيم شأنهما ، وخفض الجناح لهما ، قال تعالى " واخفض جناح الذل من الرحمة " الاسراء ٢٤ .

(٣) برهما بكل ماتصل اليه اليد ، والانفاق عليهما بنفس طيبة ، من طعام وكساء ولباس وعلاج وتوسيع فى العيش بحسب الطاقة .

(٤) صلة رحمهما ، والدعاء والاستغفار لهما ، قال تعالى " وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " السراء ٢٤ .

(٥) مخاطبتهما بأدب فلا تقل لهما أف ، ولاتنهرهما ، وقل لهما قولا كريما .

(٦) المحافظة على سمعتهما وشرفهما ومالهما وعدم أخذ شيء بدون اذنهما .

(٧) عمل مايسرهما ولو من غير أمرهما كشراء مايلزم البيت والاجتهاد فى طلب العلم .

(٨) مشاورتهما فى أمور الحياة .

(٩) اجابة نداءهما بسرعة وبوجه باسم بالقول : نعم ياأمي وياأبى . والانصات لحديثهما .

(١٠) اكرام صديقهما وأقرباءهما فى حياتهما ، وبعد موتهما .

(١١) عدم معاندتهما أو رفع الصوت عليهما .

(١٢) عدم الدخول عليهما بدون اذن لاسيما وقت نومهما وراحتهما .

(١٣) عدم الجلوس فى مكان أعلى منهما أو مد الأرجل في حضرتهما .

(١٤) دعاء الوالدين مستجاب بالخير والشر ، فاحذر دعاءهما عليك بالشر .

وكما أن للوالد حقوق على ولده فكذلك للولد حقوق على والده تتمثل فى اختيار والدة له حسنة الدين والخلق والأصل . وحسن تربيته وتعليمه والنفقة عليه وتثقيفه وتأديبه بآداب الاسلام ، وتعويده على أداء فروض الاسلام وسننه ، وأنجع طريق لذلك هو أن يتحلى الأب بهذه الفضائل ليكون القدوة الصالحة لولده ولأن هذا أبلغ أثرا من مجرد الكلام باللسان .

وعلى الانسان حقوق تجاه أرحامه وكم أوصى الله تعالى بالرحم ، قال عز وجل : " واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام " النساء ١ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان اله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك " متفق عليه .

ولذلك يجب صلة الرحم والاحسان اليهم بتوقير كبيرهم والرحمة بصغيرهم وعيادة مريضهم ومواساة منكوبهم وتعزية مصابهم واللين بهم وان قسوا معه ومن الأخلاق التى أمر بها الاسلام الاحسان الى الجار فقد أمر الله تعالى بالاحسان الى الجار سواء أكان قرابة أم لا ، وقال عليه الصلاة والسلام : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره " رواه مسلم . ومن الحقوق الواجبة للجار مايلى :

(١) عدم أذيته بقول أو بفعل ، قال عليه الصلاة والسلام " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره " متفق عليه. ومن أذيته تتبع عوراته والتجسس عليه

(٢) الإحسان اليه ، وذلك بأن ينصره اذا استنصره ويعينه اذا استعانه ، ويعوده اذا مرض ويهنئه اذا فرح ، ويعزيه اذا أصيب ، ويساعده اذا احتاج ، ويلين له الكلام .

(٣) المحافظة على ماله وعرضه وسمعته قال عليه الصلاة والسلام " والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لايؤمن جاره بوائقه " متفق عليه .

(٤) اكرامه باسداء المعروف والخير اليه لقوله صلى الله عليه وسلم " يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة " رواه البخارى . وقوله " لأبى ذر " : ياأباذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك " رواه البخارى هذه الآداب العظيمة يحتاجها كل مسلم يريد السعادة فى الدنيا ورضوان الله فى الآخرة .

الحور العين

الحوراء هى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين .... يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون .... يبدو مخ ساقها من وراء لحمها وعظمها وقد ارتدت ولبست مائة حلة من حرير كل حلة على غير لون

الأخرى .... يبدو - مخ ساقها من وراء حللها - كما يبدو الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء وذلك بأن الله تعالى يقول " كأنهن الياقوت والمرجان " ، " كذلك وزوجناهم بحور عين " .

يرى الناظر وجهه في كبدها وصحن خدها وترى صورتها في كبد زوجها وصحن خده من شدة صفاء اللون .... " فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان " فالحوراء تقصر طرفها على زوجها ولاتنظر الى غيره ..... لها صفاء الياقوت فى بياض المرجان ..... " حور مقصورات فى الخيام " مقصورات قلوبهن على أزواجهن فى خيام اللؤلؤ ....

" فيهن خيرات حسان " خيرات الصفات والأخلاق والشيم ....حسان الوجوه ..... " لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الدنيا لأضاءت مابين السماء والأرض ولملأت مابينهما ريح مسك ...... ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ولآمن من على ظهر الأرض بالله الحى القيوم .... "ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها " ...... " كأنهن بيض مكنون"........ رقتهن كرقة الجلد الذى فى داخل البيضة مما يلى القشرة ، ولو أن يدا من الحور دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضىء الشمس لأهل الدنيا فكيف لو بدى وجهها ؟ " واذا دخل الرجل من أهل الجنة على زوجته قالت له والذى هو أكرمنى بك مافى الجنة شيء أحب الى منك ويقول هو مثل ذلك".

" مكتوب على صدر زوجة المؤمن من أهل الجنة : "أنت حبى وأنا حبك ، لم تر عينى مثلك ، انتهت نفسى عندك " ..... ويسطع نور في الجنة فيرفع أهلها رؤوسهم فاذا هو من ثغر حوراء قد ضحكت فى وجه زوجها .

الحور العين - وهذه الأخبار من كلام رب العالمين .... من كلام أجود الأجودين وأرحم الراحمين .... ومن أحاديث امام الأنبياء والمرسلين الصادق المصدوق الأمين - الحور العين فى أجواف الخيام ينادين بأصوات لم يسمع السامعون

بمثلها يقلن : أين خطابنا .... أين طلابنا ...... أين رجالنا ..... أين مــن نحن له ؟

" نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، ونحن المقيمات فلانظعن أبدا ، ونحن الناعمات فلانبأس أبدا ، ونحن الخالدات فلانموت أبدا ، ونحن المحبات فلا نمل أبدا ، ونحن الآمنات فلانخاف أبدا ، ونحن الشابات فلا نهرم أبدا ونحن الفرحات فلانحزن أبدا ، ونحن الغنيات فلا نحتاج أبدا ، ونحن الكاملات فلا نتغير أبدا ، ونحن الصادقات فلا نكذب أبدا ، ونحن الضاحكات فلا نبكي أبدا ، ونحن الطاعمات فلا نجوع أبدا ، ونحن الطيبات فلا نثقل أبدا ، ونحن خيرات حسان ...... أزواج قوم كرام طوبى لمن كنا له وكان لنا "

وحديثها السحر الحلال لو أنة لم يجن قتل المسلم المتحرز

ان طال لم يملل وان هى حدثت ود المحدث انها لم توجز

وتسأل أم سلمة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم وتقول : " يارسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ "

قال : نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة علي البطانة .

قلت : يارسول الله وبم ذاك ؟

قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله عز وجل وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفرالحلى ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب يقلن : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ألا نحن الناعمات فلانبأس أبدا ، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، طوبى لمن كنا له وكان لنا .

قلت : يارسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة فى الدنيا ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها منهم ؟

قال : يا أم سلمة انها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول : أى رب أن هذا كان أحسنهم معي خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمه ذهب حسن الخلق بخير

الدنيا والآخرة .

بعد هذا البيان بقى أن نستمع الى قول الرحمان " وفى ذلك فليتنافس المتنافسون " ، " لمثل هذا فليعمل العاملون " .

أختي المؤمنة : بالايمان وطاعة الحنان المنان يمكنك أن تكوني سيدة وملكة على الحور العين فى جوار رب العالمين " في مقعد صدق عند مليك مقتدر " .

أخى المؤمن : بالايمان وطاعة الرحمان يمكنك أن تفوز بجائزة مولاك : " ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون " .... وسلعة الله غالية .... سلعـــة الله هى الجنة ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر والمهر : " ان الله اشترى منالمؤمنين أنفسهم وأموالهم " بحيث اذا بذلوها فيه استحقوا الثمن " بأن لهم الجنة " .

" ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراه والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العضيم " التوبة١١١ .

نداء الى حواء

لأن قلب المسلم يسع الكرة الأرضية ، ولأنك أختى فى الدين والانسانية ولأننى أحب العطاء وأكره الأنانية ...... لكل هذا أكتب اليك هذه النصيحة الايمانية من القلب باذن الله آملا وداعيا الله أن تستقر نصيحتى فى القلوب برحمةعلام الغيوب سبحانه ، هذه النصيحة مفتاح سعادة لك وبسمة - فى دار النيا - حقيقية ، وراحة لك - فى الدار الآخرة - أبدية .

تعلمين أننا أتينا الى هذا العالم دون أن نستشار ونرحل من هذه الدار دون أن نختار ، ولكن الله بحكمته ورحمته وعدله منحنا حرية الاختيار .

سنرحل حين يطرق الموت أبوابنا بل ان ملك الموت عليه السلام يأتى بلا استئذان وتنطفىء شموع حياتنا وليس بعد هذه الدار من دار الا الجنة أو النار

حيث يؤتى بالموت يوم القيامة على هيئة كبش أملح وينادى مناد من قبل الحق " يأهل الجنة خلود فلاموت ويأهل النار خلود فلاموت ، كل خالد فيما هو فيه " . فكيف لنا أن نسمع النداء الأول : " يأهل الجنة خلود فلاموت " كيف لنا أن نسمع السلام من السلام " سلام قولا من رب رحيم " .... كيف لنا أن نسمع النداء " سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " ...... ان هذه الكرامات لاتتأتى الا بالسجود لله الذى خلقنا من عدم ورزقنا النعم ...... والذى يلقى الله بغير سجود يلقى الله وهو عليه غبان .... و " العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " وهذه العبادة لله وتطبيق قواعد الدين أهم وأكثر ضرورة من الأكسجين لأنه بذهاب الأكسجين يموت الجسد والطين أما بذهاب الدين فيموت القلب .

وصلاح الدنيا والآخرة مترتب على حياة القلب وسلامته واخلاصه لله " يوم لاينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم " سلم من كل المعانى السلبيةالتى لا مكان لها فى قاموس حياة المؤمن .

والآن أتحدث بعد هذه المقدمة الضرورية عن جوهر القضية ..... الى أخواتى أقول : " اننى وأنا أتحرك على امتداد شوارع الحياة لاأرى الا أعمدة من اللحم البشرى .... فأتساءل بحزن وأسى : هل أصبحت الفتاة فى عالمنا المعاصررخيصة مبتذلة الى الحد الذى جعلها تعرض أو تروج أو تبيع نفسها لكل عابر سبيل تصد عن دين الله وعن طاعة الله ... وتقتل المئات فى طريقها وتحصد اثم كل من ينظر اليها .... وترجع الى بيتها وأهلها محملة بالأوزار التى تقودها الى نار حرها شديد وقعرها بعيد وماؤها صديد وأغلالها حديد.

مسكينة تائهة تلك التى سقطت فى شبكة التقليد الأعمى فاصطادها دعاة التحرير الزائف ... الذين حاولوا تحريرها - وهى حرة - فاستعبدوها ....

---

(١) عنوان كتاب لى صدر حديثا وهذه الخاطرة تتحدث عن مضمون الكتاب .

وزعموا اكرامها - وهى مكرمة - فأهانوها ..... وادعوا العطف عليها فأهلكوها .... دمروها ..... وأرادوها دمية لشهواتهم الحيوانية البهيمية .... انهم الشياطين الى جهنم قادوها حيث يقول صلى الله عليه وسلم " .... ونساء كاسيات عاريات " ثم قال عنهن " لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها " فيكون المصير جهنم بحرها وسعيرها وضريعها وزقومها " وأهون أهل النار عذابا من يوضع تحت أخمص قدميه جمرتان فيغلى دماغه وهو يظن أنه أكثرهم عذابا وهو أهونهم " .

ان المؤمنة ترفض أن تكون صنما من نوع جديد أو صورة توضع على أحط أنواع البضائع أو سلعة لتجارة الاباحية وقد كرمها ربها " ولقد كرمنا بنى آدم " كما كرمها نبيها بقوله عليه السلام " النساء شقائق الرجال " ، " رفقا بالقوارير " ، " خيركم خيركم لأهله " .أختي المؤمنة : ان المرأة التى تصلى خمسها وتصوم شهرها وتحفظ فرجها وتطيع زوجها ينادى عليها يوم القيامة " أدخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت " وتلبس تاجا من نور أسطع من نور الشمس وتكون ملكة على الحور العين فى جوار رب العالمين .

وهذه المنزلة العظيمة تحتاج من الفتاة المؤمنة أن تقاوم وساوس النفس وهمزات شياطين الجن والانس فتطيع الحنان المنان لتفوز برحمته بالجنان فتكون رفيقة لفاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت سيد الآباء وخديجة الطاهرة زوج سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

أختى : اخلعى عنك لباس المرأة الغربية الفاجرة الكافرة وارتدى لباس المسلمة المؤمنة الطاهرة ..... واسمعى قول الشاعر الناصح الصادق :

ماذا يضرك لو سترت جمالا ... وحجبت عنا رقة ودلالا

هذا جمالك عرضه ومكانه ... فى بيت زوجك لو أردت حلالا

فى البيت أنت بحالة لاترتجي ... واذا خرجت أتيتنا تمثالا

قلدت قوما خالفوك بدينهم ... ولبست من أزيائهم أشكالا

ان الجمال من الاله كـرامة للســـالكات طهـــارة وكمـالا
وهو الطريق الى الجـحيم لغادة اتخذته سيفا مشهرا قتالا
رفقا بحالك يافتـاة زماننا صوني جمالك واكسري الأغلالا
وتحرري من واقـــع متهتـك كوني فتـاة تصنع الأجيـالا
وثقي بنفسك أنت سر حضارة عظمت وأعطت للورى أبطالا
وتعلمي صنع الرجال فاننـا في حال حرب تستزيد رجالا
جودي لهم للحرب ان شواظها يعلو ، فهاتي للوغى أشبـالا
ولقد فخرنا في القديم بمثلها أسماء ليلا تقطع الأمـــيالا
تفدي الرسول وصحبه بحياتها وهي الفقيرة تلبس الأسمـالا
لكنها عظمت بيقظـة قلـــبها وهي التي ضربت لنا الأمثالا .

القدر

قال عبادة بن الصامت لابنه : " يابني ، انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك ، وماأخطأك لم يكن ليصيبك .... " رواه أبوداود .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : " والذى نفس ابن عمر بيده ، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ماقبله الله منه ، حتى يؤمن بالقدر . ثم استدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " رواه مسلم .

" أوجب الاسلام لله سبحانه نعوت الكمال ، وصفات الجلال والجمال ودواعي الحمد والتمجيد . فكان في عداد ماينبغي الايمان به والاطمئنان اليه أن لله وحده صفات العلم الواسع والارادة الشاملة والقدرة الكاملة وأنه – سبحانه – فعال لما يريد ، عالم بمايفعل .

وعلى هذه الصفات قامت عقيدة القضاء والقدر . فكان الايمان بها جزءا متمما للايمان بالله الذى وسع كل شيء علما وأحاط بكل شيء خبرا .

" ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء ولاأصغر من ذلك

ولاأكبر الا فى كتاب مبين " يونس ٦١ .

وفى صفحات هذا الكتاب خطت سطور القضاء والقدر ، وعرفت مصاير الأمور ، ووضحت نهاياتها ، من شقاوة وسعادة . ولكن أنى لنا علم بذلك ؟

انما الغيب كتاب صــــانه عن عيون الخلق رب العالمين

ليس يبدو منه للناس سوى صفحة الحاضر حينا بعد حين " (١)

وفى قصة رمزية لكاتب فرنسى يتحدث عن يوم تلبدت فيه السماء بالغيوم وهطل المطر غزيرا واندفعت السيول وكان " جان " ينظر الى السماء ويقول : ان هذا الوابل سيلحق الضرر بمزروعاتنا لأنها لاتحتاج الى هذا القدر الوافر من الماء ...... ليت العناية الآلهية أوكلت الى هذا الأمر لعرفت متي يجب أن تشرق الشمس ومتى يجب أن ينزل المطر .... وماأن أتم كلامه حتى أتاه شخص غريب وقدم له علبة عجيبة وقال له : اذا فتحت العلبة أصبح المطر رهن أمرك والشمس طوع يديك ولكن العلبة لاتعمل الاباجماع أهل القرية على رأى موحد ...... ورحل هذا الوافد .

قام " جان " يطوف على أهل القرية يزف اليهم النبأ السار ..... جمعهم وسألهم أن يتفقوا على رأى موحد .... هل يفضلون المطر أم الشمس ووجم القوم واتفقوا على أن لايتفقوا .... فالمزروعات متعددة الأنواع منها من يحتاج الى الماء ومنها مايحتاج الى الشمس ... فالمصالح متضاربة .... وعاد أهل القرية الى الاجتماع مرات ومرات .... ولكن دون جدوى .

غضب " جان " وألقى العلبة بعيدا وماكادت تلامس الأرض حتى انفتحت وخرج منها ورقة مكتوب عليها " ان المقادير فوق مستوى عقولنا المحدودة ، وعلينا أن نترك أمرها للعناية الالهية فى كل الأمور " .

(١) من كتاب عقيدة المسلم لمحمد الغزالى .

حقا ان القدر سر من أسرار الخالق والايمان به سر من أسرار السعادة وراحة القلب والبدن : جاء في الأثر القدسي " يابن آدم ان رضيت بما قسمته لك ، أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فبعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية ثم لايكون لك الا ماقسمته لك منها وكنت عندى مذموما " .

يقول العلامة ابن القيم في زاد المعاد " .... فأكثر الخلق بل كلهم - الا من شاء الله - يظنون بالله غير الحق وظن السوء ، فان غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ ، وانه يستحق فوق ما شاءه الله وأعطاه ولسان حاله يقول : ظلمني ربى ، ومنعني ماأستحقه ، ونفسه تشهد عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكره ولايتجاسر على التصريح به .... " (١) .... ثم يقول رحمة الله " فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع ، وليتب الى الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السوء ، وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء ، ومنبع كل شر المركبة على الجهل والظلم فهى أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين وأرحم الراحمين ، الغنى الحميد ، الذى له الغنى التام ، والحمد التام ، والحكمة التامة . المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه ، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك ، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ، ورحمة وعدل ، وأسماؤه كلها حسني ..... " .

أجل لو عرف الانسان مافى الغيب لاختار الواقع ..... فلو عرف الأعمى ماكان سيحدث له لو كان مبصرا لاختار بنفسه أن يكون أعمى ...... ان الايمان بالقضاء والقدر يجعل الانسان المؤمن به مطمئن القلب فاذا أصابته السراء شكر واذا أصابته الضرار صبر لأنه يعلم أنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولهذا يعقل ويتوكل ويعمل ولايتواكل فمن يزرع تفاحا يرزقه الله ثمرة شهية ومن

---

(١) زاد المعاد ج ٢ صفحة ١٠٣ - ١٠٦ .

يزرع الشوك يجنى الجراح ..... ومن تعلق بأسباب الخير – من عطاء وتقوى وتصديق – أكمل الله غايته ويسره للحسنى ومن تعلق بأسباب الشر – من بخل وفجور وتكذيب – أتم له قصده وأملى له في غيه ، ويسره للعسرى .

" فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى – وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى " الليل ٥ – ١٠ .

ومن القضايا المرتبطة بقضية القضاء والقدر قضية الرزق والأجل فمع أن الرزق والأجل قرينان مضمونان فان الانسان تعرض له حالات ينسى معها هذه الحقيقة فيجزع ويخاف ويضطرب كيانه لنقص فى ايمانه .

أما المؤمن الذى بلغ درجة اليقين فيعلم أن الأعناق والأرزاق بيد الله سبحانه فمادام الأجل باقيا كان الرزق آتيا وهذا الايمان ينعكس على سلوك العبد فى حياته فيعمل بوصية الحبيب صلى الله عليه وسلم " فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب " فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها ومن أجمل فى الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها .

"قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان فى ذا الخلق من يسمع

كم واثق بالعيش أهلكته ... وجامع فرقت مايجمع "

وما أجمل جواب المرأة المؤمنة التى أراد زوجها الخروج الى الجهاد ولهما خمسة من الأولاد فخوفها الناس أن اذا مات الزوج فمن أين ستطعميهم فقالت : " عرفت زوجى أكولا ولم أعرفه رزاقا فاذا مات المرزوق بقى الرازق الذى لايموت " وحول هذا المعنى كتب الامام ابن القيم فى " الفوائد " : " فرغ خاطرك للهم بما أمرت به ولاتشغله بما ضمن لك فان الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام الأجل باقيا كان الرزق آتيا واذا سد " الله " عليك بحكمته طريقا من طرقه فتح لك برحمته طريقا أنفع لك منه : فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحدة وهو السرة فلما خرج من بطن الأم

وانقطعت تلك الطريق فتح له طريقين اثنين وأجرى له فيهما رزقا أطيب وألذ من الأول لبنا خالصا سائغا . فاذا تمت مدة الرضاع وانقطعت الطريقان بالفطام فتح طرقا أربعة أكمل منها:

طعامان وشرابان : فالطعامان من الحيوان والنبات . والشرابان من المياه والألبان ومايضاف اليهما من المنافع والملاذ فاذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة لكنه سبحانه فتح له ان كان سعيدا طرقا ثمانية وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء فهكذا الرب سبحانه لايمنع عبده المؤمن شيئا من الدنيا الا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له وليس ذلك لغير المؤمن فانه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولايرضى له به ليعطيه الحظ الأعلي النفيس : والعبد لجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه لايعرف التفاوت بين مامنع منه وبين ماذخر له بل هو مولع بحب العاجل وان كان دنيئا وبقلة الرغبة فى الآجل وان كان عليا ولو أنصف العبد ربه وآنى له ذلك لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما أتاه من ذلك فما منعه الا ليعطيه ، ولاابتلاه الا ليعافيه ، ولاامتحنه الا ليصافيه ولا أمانه الا ليحييه ولاأخرجه الى هذه الدار الا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة اليه فجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وأبى الظالمون الا كفورا " .

" سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولافى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بماآتاكم والله لايحب كل مختال فخور " الحديد ٢١ - ٢٣ .

وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أيها الناس أقبلوا على ماكلفتموه من اصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم

ولاتستعملوا جوارح غذيت بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته . واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته . انه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ولايدرك منها مايريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل اليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة مايريد " .

الوصية العظيمة

" يارجل .... اتق الله فينا ولاتأت لنا الا برزق حلال فاننا نستطيع الصبر على الجوع فى الدنيا ولا نستطيع الصبر على العذاب فى الآخرة " .

هذه هي الوصية العظيمة من الصحابية المؤمنة لزوجها المؤمن .... تستوقفه على باب البيت قبل خروجه للمشى فى مناكب الأرض فى طلب الرزق الحلال ..... تودعه بهذه الكلمات الجميلة .... تزرع فيه مخافة الله وخشيته وتعززها وتبعث فيه روح الهمة والنشاط وتحثه على الصبر والقناعة والطاعة والكسب الطيب ، فيخرج من بيته مشحونا بالهمة مفعما بالأمل ..... يخرج باسم الثغر منشرح الصدر وهو يقول دعاء الخروج من المنزل .... يدعو كما كان يدعو النبى صلى الله عليه وسلم : " بسم الله توكلت على الله ولاحول ولاقوة الا بالله " لقد نسجت المرأة المؤمنة خيوط هذه الوصية العظيمة بأحرف من نور فى زمن فهمت فيه المرأة البداية والنهاية وعرفت الهدف والغاية ..... لقد كان البيت خلية من التقوى ومملكة من الايمان ..... الرجل مليكها والمرأة ملكتها .... مملكة شعارها المودة والرحمة والحنان وغايتها الوصول بسفينة الأسرة الى بر الأمان وشواطىء الجنان فى جوار الرحمان .

أما فى هذا الزمن المظلم .... زمن التحرير الزائف والمساواة الكاذبة .... زمن الفتن الذى انعكست فيه القيم وانقلبت فيه الموازين فان المرأة تستوقف زوجها على باب بيته - ان كان له بيت - قبل أن يخرج المسكين ليمارس كعادته

السعي بنهم وأنانية وليركض عبر شوارع الحياة ركض الوحوش في البرية وليمارس التنافس والصراع والتطاحن بعد أن زودته زوجته بقائمة طويلة عريضة عويصة من الكماليات واللاضروريات وتأمره - وقد اختلست منه القوامة والقيادة - بعدم العودة الى قفص الزوجية الا وقد أحضر كل محتويات القائمة كيفما اتفق وبأى طريق من الحلال أو الحرام لافرق .

وان لم يفعل فالويل له ..... هذا اذا لم تكن هى ذاتها قد تركته وأبناءه لخادمة أجنبية - بوذية أو سيرلانكية أو فلبينية - لاتجيد لغة عربية أو طبخة اسلامية ولا تعرف شيئا فى التربية ، وخرجت متبرجة نصف عارية ، تزاحم الرجال بالمناكب وتعمل معهم في المكاتب ثم تقبض الراتب وتتجه على جناح السرعة تدفعه الى - كوافير - يجيد تسريحة أوروبية .

لقد طالبت المرأة بالتحرير فتحررت نساء هذا القرن - الا من رحم ربي - من الحياء ، والفضيلة ، والعفة ، والكرامة ، والانسانية بينما طالبت الصحابية العربية المؤمنة التقية " أسماء بنت يزيد الأنصارية " طالبت بتحرير من نوع عجيب فقد أتت النبى صلي الله عليه وسلم وهو جالس مع بعض أصحابه رضوان الله عليهم وقالت : " يارسول الله ..... أنا وافدة النساء اليك ، وقد أرسلك الله الينا رجالا ونساء ، ولكنكم معشر الرجال فضلتم عنا بالجمع والجماعات والحج والجهاد ونحن قعيدات بيوتكم ، نغزل ثيابكم ، ونربي أولادكم ، ونصنع طعامكم ونحفظ أموالكم ، ونصون اذا غبتم .... أفلا أجر لنا معكم ؟ فاستدار صلى الله عليه وسلم لكل وجهه الشريف الى أصحابه وقال : " أسمعتم مقالة امرأة فى أمر دينها كهذه ؟ " .... قالوا : لايارسول الله . فقال لها صلى الله عليه وسلم : " أيتها المرأة ، اعلمي وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن معاملة ومعاشرة المرأة لزوجها يعدل ذلك كله وقليل منكن من يفعله " . فانصرفت " أسماء " وهى تكبر حتى اختفت عن مجلسه صلى الله عليه وسلم لقد طالبت خطيبة النساء الناطقة بألسنتهن ومندوبتهن " أسماء " التى عبرت

عما يجول فى قلوبهن وعقولهن بأن تتساوى المرأة في الأجر والثواب مع الرجل فلما اطمأنت الى أن أجرها على طاعة زوجها وحسن معاملته يعدل أجر الجمع والجماعات والجهاد عادت مكبرة الى بيتها وعشها ومملكتها وأسرتها ..... عادت الى أعمالها : تغزل الثياب وتربى الأبناء تربية اسلامية تصنع الرجال وتعد الأجيال وتطهو الطعام وتحفظ نفسها ومال زوجها وتصون فرجها لتسمع يوم القيامة نداء ربها : " أين التى صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها ، أدخلي الجنة من أى الأبواب شئت " .

يا" أسماء " يامن علقت أهدابها بالسماء .... يامن حياتها طهر ونقاء وعفة وحياء ..... يا " أسماء " ياأنقى وأرقى وأحلى الأسماء .... قولى لكل النساء فى زماننا : " هذا هو التحرير وهذه هى الحرية فى اطار العبودية لله الواحد القهار " ...... ياأجمل الأسماء قولى " لنيفين وسوزى وكارولين المتشدقات بالتحرير : " لماذا تقحمن النار ؟ لماذا تكثرن اللعن وتكفرن العشير ؟! .

لماذا لاترتدى كل واحدة منكن لباس الحشمة والعفة والستر والطهر ؟! .

لماذا تحفظن أسماء المطربين والمطربات من الأحياء والأموات ولاتحفظن من كتاب الله الآيات ؟! لماذا تعرفن كل شىء عن " توم وجيرى " ، " السندباد " " وبى جى والقرد " ولاتعرفن شىء عن بدر وأحد ؟ لماذا ... لماذا .... لماذا ؟ .

ان الطريق الى الجنة محفوف بالمكارة والطريق الى النار محفوف بالشهوات ..... والدنيا فانية والآخرة باقية .... وليس بعد هذه الدار من دار الا الجنة أو النار ..... وعليك الاختيار بين طريق الأخيار الأبرار أو طريق الأشرار الكفار : " ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " ق ٣٧ .

فضائل الذكر وفوائده

" فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولاتكفرون " البقرة ١٥٢ .

قال صلي الله عليه وسلم : " ان الله عز وجل يقول : " أنا " مع عبدى اذا هو ذكرنى ، وتحركت بى شفتاه " (١) .

قال ابن القيم رحمه الله : " ذكر الله يرضى الرحمان ويطرد الشيطان ويزيل الهم ويجلب السرور ويقوى القلب والبدن وينور القلب والوجه ويجلب الرزق ويكسب المهابة والحلاوة ويورث محبة الله التى هى روح الاسلام ويورث المعرفة والانابة والقرب وحياة القلب وذكر الله للعبد ، وهو قوت القلب وروحه وتجلى صدأه ويحط الخطايا ويرفع الدرجات ويحدث الأنس ويزيل الوحشة وينجى من عذاب الله ويوجب تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر ويشغل عن الكلام الضار ويسعد الذاكر ويسعد به جليسه ويؤمن الحسرة يوم القيامة وهو من البكاء سبب لاظلال الله العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه ، وأنه سبب لعطاء الله للذاكر أفضل مايعطي السائلين ، وأنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها ، وأنه غراس الجنة ، وأن العطاء والفضل الذى رتب عليه لم يرتب علي غيره ، وأن الذكر نور الذاكر فى الدنيا ونور له فى قبره ونور له فى نعاده ، وأن فى القلب خلة وفاقة " لايسدها شىء البتة الا ذكر الله عز وجل ، والذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه ، والقلب اذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر ، والذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل فى سبيل الله عز وجل ، والذكر رأس الشكر ، وأكرم الخلق على الله من المتقين من لايزال لسانه رطب من ذكر الله ، وأن فى القلب قسوة " لايذيبها الا ذكر الله تعالى وأن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه ، وأن من شاء أن يسكن رياض الجنة

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حيان فى صحيحه .

وأن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، وأن الله عز وجل يباهي بالذاكرين الملائكة ، وأن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك ، وأن جميع الأعمال انما شرعت اقامة لذكر الله تعالى ، وأن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل ، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرا لله عز وجل فى صومهم ، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرا لله عز وجل ، وان ذكر الله يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق ، وان ذكر اللله يذهب عن القلب مخاوفه كلها ، وله تأثير عجيب فى حصول الأمن ، وأن فى الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة واللغووالنميمة ، وأن عمال الآخرة كلهم فى مضمار السباق والذاكرون أسبقهم فى ذلك المضمار ولكن الغبار يمنع من رؤية سبقهم ، فاذا انجلى الغبار وانكشف ، تراهم الناس وقد جاوزوا قصب السبق ، وأن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده ، فانه أخبر عن الله بأوصاف كماله ونعوت جلاله فاذا أخبر بها العبد صدقه ربه ومن صدقه الله لم يحشر مع الكاذبين ورجى له أن يحشر مع الصادقين ، ...... ودور الجنة تبنى بالذكر ، فاذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء ، والذكر سد بين العبد وبين جهنم ، فاذا كانت له الى جهنم طريق من عمل من الأعمال ، كان الذكر سدا فى تلك الطريق .... ومبنى الدين على قاعدتين ، الذكر والشكر ، وليس مراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبى واللسانى ، وذلك يستلزم معرفة الله والايمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح ، وذلك لايتم الابتوحيده سبحانه فذكره الحقيقى يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه واحسانه الى خلقه وأما الشكر فهو القيام بطاعته ، فذكره مستلزم لمعرفته وشكره متضمن لطاعته وهما الغاية التى خلق لأجلها الجن والانس . لهذا كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل الأحوال والأعمال والأفعال . ولنعش مع النبى صلى الله عليه وسلم فى رحلة الذكر من الصباح حتى المساء :

* فاذا أفاق صلى الله عليه وسلم من نومه قال : " الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور " متفق عليه .

* واذا نظر الى السماء قال : " ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار " الى آخر الآيات . (١)

* واذا نظر فى المرآة قال : " الحمد لله اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى "(٢) .

* واذا لبس ثوبا جديدا قال : " اللهم انى أسألك من خيره وخير ماهو له ، وأعوذ بك من شره وشر ماهو له " (٣) أو يقول : " الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى (٤) .

---

(١) أنظر كتاب " الأذكار للامام النووى " ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق ٢٧٠ .

(٣ . ٤) الاذكار للامام النووى ص ٢٢ ، ٣

* وإذا خرج من البيت قال : " باسم الله توكلت على الله ، اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على " رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حديث صحيح (١) .

* وإذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم " (٢) .

* وإذا دخل البيت قال : " اللهم انى أسألك خير المولج وخير المخرج و باسم الله ولجنا ، وباسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا " ثم يسلم على أهله (٣) .

* وإذا خرج من المسجد قال : " اللهم اني أسألك من فضلك " رواه مسلم

* وإذا أكل طعاما قال : " الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين (٤) " رواه أبو داود والترمذى .

* وإذا شرب ماء قال : " الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين " .

* وإذا دخل الخلاء قال: " اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث " رواه البخارى .

وإذا خرج من الخلاء قال : " غفرانك " رواه أحمد وأهلل السنن ، وفى رواية أخرى من سنن ابن ماجه " الحمد لله الذى أذهب عني الأذى وعافانى " .

وإذا ركب دابته قال : " الحمد لله الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون " (٥) .

وإذا أتى أهله قال : " بسم الله . اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا " رواه البخارى . ويستمر صلى الله عليه وسلم فى ذكر الله عند كل عمل وموقف من مواقف الحياة فاذا أراد النوم قال : " باسمك اللهم أموت وأحيا " . متفق عليه .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤ (٢) أذكار اليوم والليلة للامام بن القيم ص١٧
(٣) الأذكار للامام النووى ٢٥ . (٤) المصدر السابق ٢١٠ - ٢١١ . (٥) الأذكار للنووى ١٩٧

وكان يقول كذلك اذا أوى الى فراشه : " الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا ،آوانا ، فكم ممن لاكافى له ، ولامؤوى " رواه مسلم . [هكذا تكون العبودية لله ...... ورسولنا صلى الله عليه وسلم عو أسوتنا وقدوتنا فى كل أمور حياتنا :

" لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " الأحزاب ٢١] .

المرأة فى الحضارات الأخرى

من نافلة القول أن الاسلام أعطى للمرأة حقوقا كاملة ، لم تكن تحلم بها فى أية ديانة أو حضارة أخرى . وحتى نصل الى معرفة هذه الحقيقة الساطعة لابد من ذكر موقف الحضارات الأخرى من المرأة حتى نأخذ صورة واضحة كافية شافية نستطيع من خلالها عمل مقارنة بين مكانة المرأة فى كافة الحضارات ومكانتها فى الاسلام لنقول لأخواتنا المسلمات : " لاتنخدعن بدعوات التحرير الزائفة لأن الاسلام منحكن كل الحريات والحقوق ولايمكن لكن أن تعرفن نواتكن وقيمتكن الا باستجابتكن لدين الله عز وجل وايمانكن بالحق الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " .

(١) المرأة فى الحضارة الهندية :

كان البراهمة يعتبرون المرأة شيئا مهملا ، مفروضا على الرجل ليس من حقها الإدلاء بأى رأى فى أى موضوع ، حتى ولو كان هذا الأمر متعلقا بحياتها الشخصية . وفى شريعة " مانى " كانت الفتاة ملكا لوالدها ، ثم ملكا للزوج ، فان مات الزوج فلا حياة لها بعده ، وعليها أن تحرق مع جثة الزوج عل موقد

واحد ، فاذا نجت من الحرق ، فلأخ الزوج حق ضمها الى نسائه أو اهدائها للحاكم ..... كما كان لطبقة رجال الحرب الحق في الاستيلاء على أية فتاة ، وهو نظام معروف باسم الجبابرة . وجاء في شرائع الهندوس : " ليس الصبر المقدر والريح والموت والجحيم ، والسم ، والأفاعي ، والنار أسوأ من المرأة " .

(٢) المرأة فى حضارة فارس :

رأى " مزدك " أن المرأة سبب كل جريمة ، وذلك لتكالب الرجال عليها وحتى يقضى على الجريمة أباح المرأة للجميع ، كما أجاز زواج الابن بأمه ، والأب بابنته ، وبالطبع لم تحدد الزوجات بل أصبح الأمر كلا مباحا بلا ضابط ولارابط ، وللأخ حق اشتهاء زوجة أخيه ، وعلى الأخ ألا يمانع حتى يكمل ايمانه وترضى الآلهه .... وكانت شريعة " حمورابى " فى بابل تجعل المرأة شيئا من عداد الماشية ، هذا بالنسبة لنساء الطبقات الشعبية ، أما نساء الطبقة الراقية فكان الحجاب شديدا عليهن ، حتى لقد كن لايخرجن الا فى هوادج مرخاة عليها السدول ، حتى حيل بينهن وبين آبائهن واخوانهن أما الخليلات والخطايا فكن يتمتعن بقسط عظيم من الحرية لأنهن يرفهن عن السادة " .

(٣) المرأة فى أفريقيا : وسط وجنوب أفريقيا :

كانت المرأة تتزوج بعدد كبير من الرجال ، مما ينتج عنه ضياع النسب ،، كما كانت فى مقابل الاستحواذ على أكبر عدد من الرجال تعمل هى فى الحقل ، وتقوم بمشقة الصيد وكانت من أجل أن تتجمل للرجال تقطع وتشق فى أماكن من لحمها وجسمها ، وتخطط خلقتها ، وتتحمل فى سبيل ذلك الكثير !

(٤) المرأة فى الحضارة الصينية :

لم يكن من حق الزوجة الجلوس بجوار الزوج عند تناول الطعام أو فى الحديث العادى ، بل عليها أن تركع جوار قدميه ..... ذلك لأنهم اعتبروا المرأة أقل كينونة من الرجل ، واذا مات الزوج فعلى الزوجة أن تدفن معه حية ، اخلاصا له ، فليس من حقها التمتع بالحياة من بعده . هذا بخلاف اذا ماتت الزوجة ، فللزوج أن يتزوج بامرأة أخرى فى اليوم الثانى مباشرة بلا حرج .

(٥) المرأة فى الحضارة اليونانية القديمة :

جعلوا للرجل الحق المطلق فى فصم عرى الزوجية ، بينما لم يمنحوا المرأة حق طلب الطلاق ، الا فى حالات استثنائية ، بل وضعوا العراقيل في سبيل الوصول الى هذا الحق . ومن ذلك أن المرأة اذا أرادت أن تذهب الى المحكمة لطلب الطلاق ، تربص لها الرجل فى الطريق فأسرها ، وأعادها قسرا الى البيت .

وكانت المرأة مسلوبة الحرية والملكية ، بل ان " ارسطو " ملك المنطق وأصل الفكر ، كما يسمى ، أعرب أنه من أسباب سقوط " اسبرطة " الحرية التى أعطيت للنساء ، كما أعتبر المرأة أدنى فعلا من الرجل ، وعبر عن ذلك بقوله : " لم تزود المرأة بأى استعداد عقلى يعترف به ،وبالتالى فلا شأن لها بالسياسة والعلم " كما كان هناك نظام البغايا الراقيات اللاتي يحرصن على الاتصال بوجهاء القوم حتى ترضى عنهن الآلهة !

ولم تكن المرأة في رأى افلاطون أسعد حالا بل أكد أن الواجب تداول النساء كما تتداول الحاجات ، وأن المرأة أميل الى الشر منها الى الخير .

وفى أوج حضارة اليونان تبذلت المرأة ، واختلطت بالرجال فى الأندية والمجتمعات ، فشاعت الفاحشة ، حتى أصبح الزنا أمرا غير منكر ، وحتى غدت دور" البغايا " مركزا للسياسة والأدب ، وثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن ، ثم اعترفت دياناتهم بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، فمن آلهتهم " أفروديت " التى خانت ثلاثة آلهة ، وهى زوجة واحد ، وكان من أخدانها رجل من عامة البشر ، فولدت "كيوبيد " اله الحب عندهم !

وكل ذلك لم يشبع غرائزهم ، حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل وأقاموا لذلك تمثال " هرموديس واستوجتين " ، وهما فى علاقة آثمة ، وكان ذلك خاتمة المطاف لحضارتهم فانهارت وزالوا .

(٦) المرأة فى الحضارة الرومانية :

حكموا عليها بالتفاهة واللامعنوية ، وقد وضعوا لذلك شعارا كانوا يترنمون به : " ان قيد المرأة لاينزع " . والمرأة عندهم خاضعة خضوعا مطلقا للأسرة ، سيطرة رئيس الأسرة تصل الى حق الحياة والموت وبيعها بيع الرقيق ، أما اذا تزوجت ، أصبحت ملكا للزوج ، وانقطعت صلتها بأسرتها تماما ، وذلك على نحو مايذكره الأستاذ " جيرارد " فى كتابه : القانون الرومانى ، ثم سقطت الدولة الرومانية لإنغماسها فى الترف والشهوة ، فعلا صوت يطالب بمقاطعة النساء وبخاسه المرأة ، حتى أن رجال اللاهوت اجتمعوا ليبحثوا هل المرأة جسم وعقل وروح أم جسم فقط ؟

(٧) المرأة فى العهد القديم " التوراة " :

المرأة متاع يورث اذا مات الزوج ، وقد جاء فى الاصحاح ٧ المادة ٣٦ مانصه : " ان المتوفى عنها زوجها اذا لم يترك أولادا ذكورا وكان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجا شرعيا له ، ولاتحل لغيره مادام حيا ، الا اذا تبرأ منها ، وللرجل حق بيع ابنته بالمال ، وليس لها حق الرفض ، ذلك لأن المرأة شر محض ، كما كانت الشريعة المحرفة التى تنسب لموسى عليه السلام تحرمها حق الارث اذا كان لها أخ ذكر " واليهود عموما يعتبرون المرأة لعنة ، لأنها هى التى أغوت آدم على الأكل من الشجرة " ٥٤٥ .

(٨) المرأة عند قدماء المصريين :

المرأة فى الحضارة الفرعونية القديمة كانت أحسن حالا من جميع الحضارات ويكفى أن نعرف أنها كانت تتولى الملك اذا فقد الوارث من الذكور للعرش .... فتولت المرأة خمس مرات .... وكانت الزوجة جليلة القدر حتى أن الملك لايكاد يصور على الآثار الا مع زوجته . كما كانت المرأة تنال " مهرا " من زوجها ، ولم يكن مباحا للرجل أن يتزوج الا امرأة واحدة من طبقته ولكن له أن يسرى على أن تكون زوجته سيدة سرارية . وكانت النساء يمارسن التجارة ، ويرثن مثل الرجل ، ويشترطن أن تنقل أملاك الزوج كلها الى ولده اذا تزوج بأخرى .

(٩) المرأة فى العهد الجديد " الانجيل "

لقد هال رجال النصرانية الأوائل ماراوا فى المجتمع من انحلال خلقى شنيع ، فاعتبروا لاالمرأة هى المسؤولة عن هذا كله لأنها كانت تخرج الى المجتمعات ، وتتمتع بماتشاء من اللهو ، وتختلط بمن تشاء من الرجال فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه ، وأن الأعزب عند الله أكرم من المتزوج ، وأعلنوا أن

المرأة باب الشيطان ، وأنها يجب أن تستحى من جمالها ، لأنه سلاح ابليس للفتنة والاغراء .

لذلك حثوا على التبتل والعزوبية هربا من الشر ..... لكنهم أباحوا الزواج خوفا من الزنا ، ومن يستطيع ضبط نفسه فالأفضل عدم الزواج حتى ينجو بنفسه ويتقرب الى الرب .

(١٠) المرأة عند العرب وقبل الاسلام :

كانت المرأة وصمة عار وكارثة تحل بالأسرة يجب التخلص منها بالوأد ، وكانت الأم اذا جاءها المخاض جلست أمام حفرة فاذا وضعت أنثى دفنتها فورا ..... أما اذا نجت الفتاة لسبب ما من الرأد ، فحين تبلغ السادسة يلبسونها خير الثياب ثم تستدرج الى حفرة أو بئر حتى اذا ماوصلت اليه يردم فوقها التراب وهى حية ..... وقد صور القرآن الكريم هذا المشهد أبلغ تصوير حين قال : " وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت " وقوله : " واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب .... " ثم يعقب القرآن على ذلك بقوله : " آلا ساء مايحكمون " .

واذا نجت الأنثى من الوأد ، وهى فى سن السادسة ، وتزوجت فهى مهضومة الحقوق جميعها ، ليس لها حق اختيار الزوج . واذا ماعانت فى حياتها الزوجية ، واستحالت الحياة فليس لها أن تطلب الطلاق ، وللزوج أن يعدد فى زوجاته بغير حساب . ولم يكن من حق المرأة أن ترث ، لأنها لاتحمى الذمار ولاتدافع عن البيضة ، أى لاتذود عن القبيلة بالقتال .

(١١) المرأة فى حضارة الغرب :

وبالرغم من تقدم المدنية الغربية ، ومظاهرها الخداعة فى تقديم المرأة فى المجتمعات قبل الرجل ، وسير الرجل من ورائها نصف خطوة ، وتقبيل يدها فى الحفلات الرسمية ، والتشدق بمساواتها المزعومة بالرجل ..... بالرغم من هذا كله ، فهي مازالت تخدع وتغبن وتستهلك ، فحتى هذا الوقت نجد مايلى

(١) لاتزال المرأة فى كثير من البلدان الغربية محرومة من حق الميراث .

(٢) لاتزال المرأة لاتملك حرية التصرف في مالها ، بيعا أو شراء بدون اذن زوجها .

(٣) لاتزال تفقد اسمها بمجرد الزواج ، وتصبح زوجة فلان .

(٤) ليس من حق المروأة فى الغرب الطلاق تحت أى ظرف ، ومن أجل ذلك تلجأ الزوجات للتحايل ، والخروج من الملة ، أو المخالفة الآثمة .

(٥) المرأة الغربية مكلفة بالانفاق مناصفة مع الرجل ، في جميع المصروفات لأنها تعمل مثله تماما ، وان كان هو لايقوم بالحمل ولا الولادة ولا الرضاع .

(٦) تشجع المرأة على العرى ، والاعلان عن جسدها ، ويقذف بها فى الحانات والمراقص والمواخير ، والاعلانات للمتاجرة بجسدها ..... وحتي تكسب رزق يومها .

(٧) مازالت المرأة الغربية تبحث بنفسها عن الزوج المنشود ، وتختلط في سبيل ذلك بكل من هب ودب ، وتتعرض لأقسى التجارب ، حتى توفق الى الرجل الذى تتراضى معه ، هذا ان وفقت !

(٨) مازالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عرض الفتاة ، والي عهد قريب كان قانون البغاء يعتبر سن البلوغ للفتاة هو الثانية عشرة من عمرها ، فاحترف البغاء في سن الثالثة عشرة بمعرفة الأهل ، وسعيا وراء الربح .

(٩) يقذف بالمرأة فى ميادين القتال ، للترفيه عن الجنود ، دون المبالاة بما

تتعرض له من أهوال الحرب ومعرة الأسر والسبى .

وبعد : أهذه هى صورة المرأة فى الاسلام حتى نسمع همسات أو صرخات - من الناعتين الناهقين - عن تحرير المرأة وعن المساواة ؟

من أى شىء يراد تحرير المرأة فى بلادنا ؟

الجواب : يريد المغرضون المجرمون تحريرها من العفة والشرف والكرامة والحياء لتكون دمية لشهواتهم الحيوانية .

أختاه : احذرى هذه الدعوات الباطلة واعلمى أنك حرة مكرمة موقرة عزيزة كريمة فى ميزان الاسلام العظيم .

الزوجة الصالحة

فى العديد من الأحاديث الجامعة نجد أن الرسول عليه السام يشبه المرأة الصالحة بكنز ثمين من كنوز الدنيا ، بل يجعلها خير متا ع الدنيا لزوجها ، حيث تجعل حياته دنيا سعيدة هنيئة لا منغصات فيها ، ولاغرو فى ذلك فالخير لاينتج عنه الاالخير .

* روى الترمذى عن ثوبان قال : لما نزلت : " والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله ...... " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : أنزل فى الذهب ماأنزل .... لو علمنا أى المال خير فنتخذه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة تعينه على ايمانه " قال الترمذى حديث حسن .

وفى رواية أخرى قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر : " ألا أخبرك بخير مايكنز المرء : المرأة الصالحة التى اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها أطاعته ،

واذا غاب عنها حفظته " رواه أبوداود والحاكم .

* وفي حديث آخر للرسول صلى الله عليه وسلم قال : " الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة " رواه مسلم .

* ثم عاد فأكد في حديث آخر منبع ذلك الصلاح بقوله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فأظفر بذات الدين تربت يداك " متفق عليه .

اذن فأمر الصلاح في الزوجة ، في ضوء الارشادات النبوية الحكيمة ، لاينبع من صفات مادية من جمال أو مال أو حسب ونسب ، بل يشع من جوهرها وذاتها الأصيلة ، التي رسخت فيها العقيدة وتربعت في أركانها ، فجعلتها تحب الله وتخافه ، وتؤمن ايمانا راسخا بما قضى لها الله من حظ في هذه الحياة الدنيا ، فتزن أعمالها بميزان اليوم الآخر ، وتربط قلبها بالله ، مراقبة أعمالها صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها .

وان زوجة من هذا النوع تعرف كيف تحسن معاشرة زوجها ، وفق منهج الشريعة الاسلامية ، بما ترشد اليه من أخلاق اسلامية عظيمة ، فيها سعادة الفرد والمجتمع .

وقد حوى القرآن الكريم والسنة المطهرة ملامح وأبعاد الشخصية الصالحة ..... ففي القرآن الكريم نجد التأكيد على الزوجة التي جعلها الله سكنا وراحة واطمئنانا لزوجها ، ومنبعا للمحبة والود والتعاطف ، وفيضا من الايثار والعطاء والرحمة .... ولايخفى ما لهذه الصفات للمرأة من أثر على الحياة الزوجية السعيدة.

كما أشار القرآن الكريم الى المعاشرة بالمعروف ، واقامة حدود الله بين الزوجين ليكونا زوجين سعيدين متعاطفين متوافقين ومتآلفين .

ومن أبرز صفات الزوجة الصالحة ، ومن محاسن أخلاقها خلق الطاعة ، الطاعة بالمعروف التي ينجم عنها استقرار الحياة الزوجية السعيدة وينتج عنها رضى الله سبحانه وتعالى عن المرأة المطيعة ويكون ثوابها الجنة كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم : " المرأة اذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت " .

بل ان طاعة المرأة لزوجها ، وحسن تبعلها له يرفع أجرها الى مرتبة المجاهدين فى سبيل الله ، كما سبق وبينا فى قصة أسماء بنت يزيد الأنصارية رضى الله عنها .

وتعتبر القناعة والرضى من أجمل صفات المرأة الصالحة ، لأنها بقناعتها تكون قد توجت ايمانها برضاها - بقضاء الله وقدره فيها - فعاشت راضية مرضية مما يجعلها هانئة البال سعيدة النفس ، لاعقد تعانى منها ، ولاحسدا يأكل صدرها ، غير نقمة على ذوات الحظوظ من حولها .... وهى تتمتع بكامل صحتها النفسية السوية ، التى تشع سعادة ورضى على من حولها ، بذلك تقنع بالحلال ، ولو كان قليلا ، ولا تكلف زوجها فوق طاقته ، ولاتجرح مشاعره ، أو تهين كرامته ، بدعوى تقصيره أو ضيق ذات يده ، بل على النقيض من ذلك تحترم وتصون كرامته ، وتشاركه مشاعره ، وتنسيه متاعب الدنيا ، وتهون عليه مصائبها ، وتأخذ بيده فى مواجهة مشاكلها مستعينة بايمانها وصبرها .....
ولك أختى المؤمنة بالسيدة خديجة - رضي الله عنها - أكبر قدوة في حدبها على الرسول عليه الصلاة والسلام في أول مسيرة الدعوة ، وتشجيعها له ، ورفع معنوياته ، وبذلها مالها ونفسها فى سبيل الدعوة ، ومشاركتها له فيما تعرض له من أذى أعدائه ، وتحملها شظف العيش ، ومعاناة الفقر والمقاطعة ، وهى سيدة مسنة كانت ذات مال وشرف فى قومها .

كما أن المرأة القانعة الرضية ترفع إسم زوجها بين الناس ، فلاتذكره أمامهم إلا بخير ، ولا تشهر به أو تفضح له سرا .

والمرأة القنوع لاتنكر الإحسان ولا العشير ، ولاتجحد لزوجها حقا من حقوقه ، بل أن قناعتها تدفع بها إلى جعل مكان الصدارة والقوامة التامة لزوجها فى بيتها ، كما تغض النظر عن أخطائه أو عيوبه ، عملا بقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : " لايفرك – يبغض – مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر " .... بل تتجاوز الدور السلبى الى العمل على كل مايرضى الزوج ، ويدخل السعادة الى قلبه ، لتكون ذات تجارة رابحة مع ربها تأسيا بتوجيهات الرسول الكريم حينما قال لاحدى النساء : " أذات زوج أنت ؟ " قالت : نعم .. قال : " فأين أنت منه ؟ " قالت : ماآلوه الا ماعجزت عنه " قال : " فكيف أنت له ، فانه جنتك ونارك " .

أما العفة والحياء فيعتبران أسمى وأنقى وأرقى وأجمل ما يزين المرأة الصالحة ، فالعفيفة الحيية لاتكون الا لزوجها ، لاتنظر الا اليه قاصرة الطرف عليه ..... وقد أشار القرآن الكريم الى خلق العفة والحياء بصورة واقعية حينما وصف احدى المرأتين الليتين وجدهما سيدنا موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين وسقى لهما فقال " فجاءته احداهما تمشى على استحياء " القصص "٢٥" .

وأشار القرآن الكريم أيضا بالمرأة الصالحة لكونها قانتة حافظة للغيب " فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله" النساء ٣٤ ...... فالمرأة الصالحة القانتة – المطيعة – هى التى تحفظ غيبة زوجها ، كما تحفظ حضوره فتصون بذلك عرضه وشرفه وسمعته ، فلا تظهر مفاتنها الا له ، وتقر فى بيتها ، وان خرجت منه فهى تعطى للطريق حقه ، من حجاب مادى ومعنوى ، بسترها وحشمتها ووقارها ، وغض بصرها وصوتها ، فلا تقول الا قولا معروفا ، لا خضوع فيه ولا تكسر .... لاتخوض فى الأسواق ، ولا تخرج الا حين الضرورة كما أن المرأة العفيفة ترضى دافع حب الجمال عندها والزينة بالتجمل

والتزين لزوجها ، بحيث تبدو أمامه بأجمل مظهر شكلا ورائحة وصوتا وسلوكا وصورة ، فتسره اذا نظر ..... وكما قال ابن عباس : " انى أتزين لإمرأتي كما تتزين لي".

ولعل صفة التواضع والرقة والأنوثة ولين الجانب من أكمل مايزين خلق المرأة الصالحة ، حيث يجعل من تواضعها انسانة من أحاسن الناس أخلاقا ، الموطئين أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون .

ولايخفى ما لأنوثة المرأة ورقتها من تأثير على قلب الرجل ، اذ يجعله يجد فيها النصف الآخر المكمل والمحلي لرجولته ، ولايفهم من التواضع والرقة أن تمتهني نفسك امتهانا يزهد بك زوجك أو يحط من كرامتك ... فهذا أمر وذلك شأن آخر لايخفى على كثير من النساء الذكيات والفطنات وبما أن دور المرأة في البيت دور الملاذ الذى يلوذ به الزوج والأولاد بعد عناء النهار ، والسكن الذى ينشدون العودة الى أفيائه ، فلابد لها من التحلى بخلق الصبر وسعة الصدر والحلم والحكمة فى معالجة الأمور ، لاسيما أن كثيرا من المشكلات الزوجية الأسرية لاتحل بالتضجر والتسرع والغضب ، بل بمواجهتها بسعة صدر وصبر وترو وتبصر وتحكم : " فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلم " والمرأة الصالحة تكون القدوة الصالحة فى أمور كهذه .

ولابد أن نؤكد مسئولية المرأة الصالحة فى حمل أمانة رعاية بيت الزوجية ، طاعة لأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها " متفق عليه .

ومسئولية الرعاية هذه تشمل كافة شئونه المادية والمعنوية ، الفردية والاجتماعية ، العقلية والعاطفية ، الزوجية والوالدية ، فتعطي كل ذى حق حقه من زوج وأولاد

، ورعاية مال وبيت وشرف وتربية وأخلاق .

بقي أن نذكر ونذكر ببعض الصفات الخيرة التي لا بد من أن تكمل بها المرأة الصالحة شخصيتها كالصدق والصراحة والدماثة والكياسة ، ومحاولة تعويد نفسها وزوجها أن يثق كل منهما بالآخر ، وأن يحترم كل منهما الآخر ، لكي تبقى على حاجز الاحترام والثقة المتبادلين بينهما ، تزيد من بنائه وتمتينه بالفعل والقول ، حتى يمكنها أن تحقق في بيتها السكن النفسي والاجتماعي المنشود ، وتكون أشبه بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها في كل حين باذن ربها ...... وارفة الظلال ، دائمة الخضرة والثمار ، متواصلة العطاء مابقيت في هذه الدار .

التحدى الكبير

" هاجر " الاسم الجديد " لباميلا " الفتاة الأمريكية التي تدرس في قسم علم الاجتماع في جامعة ميزوري والتي أعلنت اسلامها وارتدت جلبابها تقول " استطيب المصاعب في سبيل عقيدتي ، وهذا جدير بالنسبة للمسلمين والمسلمات ، ولقد سبق أن عذب الكثير منهم ولكنهم لم يتحولوا وأنا لن أبالي الا بالاسلام .... " (١) .

" هبة " فتاة مسلمة من بلدي كتبت الى مجلة الأمة رسالة تنشد فيها الحل فهي تخاف أن تضعف وتنهار وترتكب المعصية تحت وطأة الظروف والضغوط النفسية التي تواجهها وملخصها أن هناك معارضة لارتدائها الجلباب من قبل أقرب الناس الى نفسها ... من قبل أمها التي تقر وتقول بآراء القائلة بأن الجلباب مظهر من مظاهر الهروب من خطيئة وبأنه تخلف ورجعية .... الخ .... فهناك معارضة داخل البيت وأخرى خارجه وتردد في نفس " هبة " ذاتها

---

(١) من كتاب توجيهات اسلامية ، جمع وترتيب محمد بن جميل زينو / الطبعة السادسة .

يجعلها ممزقة مضطربة حائرة لاتعرف ماذا تريد فلها ولأخواتي من أمثالها أقول:

فى هذا الزمن الذى كثرت فيه الفتن وأنقلبت الموازين فاصبح الحلال حراما والحرام حلالا والمعروف منكرا والمنكر معروفا .. وصفر الكثيرون من الناس – لجهلهم – من الدين واستضفوا – لسفههم – بأوامر رب العالمين فى هذا الزمن ولهذه الفئة يكون التحدى .. التحدى الذى يحمل فى ثناياه العذاب والعذوبة .. العذاب الذى يتحول إلى عذوبة لحظة نعلم أن الله تعالى يكافئ على العذاب فى سبيله بالجنة والخلود والنظر إلى وجهه الكريم ، والعذوبة النابعة من حلاوة الايمان والصبرعلى الحق والتمييز فى التحرك ضد التيار الشر وضد الشيطان الذى يفتح ذراعيه لمنتسب إلى النار وأقصد شياطين الانس والجن على حد سواء .

إن من يلمزون ويعارضون فكره الجلباب هم على جانب كبير من الجهل لأنها المنهج الذى ارتضاه الله لازواج محمد صلى الله عليه وسلم ولبناته الطاهرات ولنساء المؤمنين : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهم من جلبيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » الاحزاب ٥٩ .

فهل يملك عاقل يؤمن بالله وبصفات كماله وجلاله سبحانه أن يعارض المنهج الذى أراده واختاره الغفور الرحيم الحكيم العليم .

ولحظة تفكر الفتاة فى ارتداء الحجاب يحدث الصراع فى داخلها أترضى الله سبحانه أم ترضى الناس وهنا ينهى الاسلام هذا الصراع الهش بأن من أرضى الله بسخط الناس يرضى الله عنه ويرضى الناس أما من يسخط الله

يرضى الناس فان الله يسخط عليه ويسخط عليه الناس لأن كل القلوب بيد الله .... ولهذا يطمئن المؤمن الى النتائج ولايبالى بكل مايدور حوله من معارضة أو سخرية أو استهزاء وينطبق هذا على كل قضايا الحياة فرضاء رب الناس أهم ولايقاس برضاء الناس .

ان الأصل أن يطيع الانسان أوام رالله دونما حاجة لمعرفة العلة أو الحكمة من الأمرأو النهى ولكن معرفة العلة أمر تحسيني زائد علي الأصل يجعل الانسان أكثر اطمئنانا واقبالا على الطاعة ...... فما هى الحكم والمنافع والفوائد التى تجنيها المرأة أولا وترتد الفائدة على المجتمع بأسره من ارتداء الحجاب والجلباب وبذلك تتهاوى مزاعم وأباطيل وتعاليل الساخرين والمثبطين والجاهلين ؟

ان المرأة في الاسلام مخلوق مكرم محترم وليست ملكية عامة أو بضاعة تعرض أو صورة عارية أو شبه عارية توضع على أتفه البضائع لترويجها ولهذا فان الجلباب جلب للخير والحجاب حجب للشر وحفظ لكرامة المرأة وشرفها وعفتها وأنوثتها ومكانتها وقيمتها في عالم يزعم المغرضون فيه الحرص على تحرير المرأة ولكن من أى شيء يريدون تحريرها ؟! من الحياء والفضيلة والشرف لتكون دمية لشهواتهم الحيوانية ...... ولقد صرخت آلاف النساء فى تظاهرة ضخمة فى " كوبنهاجن " بعد أن جربن التحرير " نرفض أن نكون أشياء " ، " نرفض أن نكون سلعا لتجارة الاباحية " ، " أعيدوا الينا أنوثتنا " وقد بدأت النسوة فى بلادنا يصرخن ذات الصرخات لحظة قررن خلع جلباب الحياء والملائكية ورفضن الحجاب بحجة أنه تخلف ورجعية .

ان ارتداء المرأة للحجاب صيانة للمودة والرحمة بينها وبين زوجها وضمانة مستقبلية لها قبل الزواج من رجل مؤمن يكون تكريما لها من ربها وبسبب

طاعتها وامتثالها لأوامره سبحانه أما اذا اختارت الفتاة أن تقتل المئات وتعذبهم بخروجها نصف عارية فان الله سيعاقبها وسيحرمها أن تشم رائحة الجنة ..... وهل هناك اثم أو جريمة أبشع وأكبر من بيعها لنفسها وقتلها لنفوس المئات في طريقها وهى تعرض جسدها ارشاء لشهواتها وللشياطين الذين في طاعتهم عبادة لهم " ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين " يس ٦٠ .

ولعل " هاجر " حين أدركت هذه الحائق جعلت هدفها الأسمى الجهاد في سبيل اسلامها واستطابت المصاعب في سبيل عقيدتها فهل تحتذى " هبة " حذو أختها وتسير كل المؤمنات على دربها ؟

ان الحجاب باختصار عفة وشرف وطهر وكرامة وانسانية وقيمة روحية وجدانية علية أخلاقية نورانية وليس تخلفا ولارجعية .

وان مالاتقوى على ارتدائه تعترف لذاتها أنه صيانة وضمانة وكرامة ترتفع بالانسان كى لايهوى الى مراتب الحيوانية والشهوانية والأنانية

أختاه : كونى ملاكا يتحرك على الأرض بارتداء الحجاب والجلباب جوهرا ومضمونا .

كونى مطيعة لله حق الطاعة فالحياة ليست الا رحلة ثوانى يجب أن نعيشها بالايمان والاحسان وعبادة الرحمان .

أعظم قصة زواج

ان أعظم قصة زواج في تاريخ الاسلام هى قصة زواج الزهراء سيدة البنات بنت سيد الأنبياء والآباء صلوات الله وسلامه عليه ..... فقد اختار لها الشاب الفقير عليا رضى الله عنه من دون الصحابة الأغنياء الذين ألحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ليظفروا بمصاهرة نبيهم .

يقول أنس رضى الله عنه " فى يوم الزواج دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ثم خطبهم قائلا " الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، النفاذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى اتلله عليه وسلم .... ان الله تبارك وتعالى اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا ، أوشج به الأرحام وألزم به الأنام فقال عز من قائل " وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا " .... فأمر الله تعالي يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ...... ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب .... " يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " ثم ان الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من على بن ابى طالب ، فاشهدوا أنى زوجته على أربعمائة مثقال فضة ، ان رضى بذلك على ، ثم دعا الله عليه وسلم بطبق من بر ثم قال : انتبهوا فانتبهنا ، ودخل على فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه ثم قال " ان الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة ..... أرضيت بذلك ؟ فقال علي " رضيت بذلك يارسول الله " ....

فقال عليه السلام " جمع الله شملكما ، وأعز حبكما ، وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا " .

يقول أنس " فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب ، وقد أولم عل على فاطمة بشطر من شعير وتمر ..... وكان جهازها خميلة وقربة ووسادة حشوها ليف .... ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال " مرحبا بجهاز المساكين " .

هذه قصة زواج سيدة نساء الجنة .... مهرها لايزيد عن أقل أسورة من الفضة تلبسها أفقر امرأة اليوم ، وجهازها مايدمع العين ولكن حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم قال عنه " مرحبا بجهاز المساكين " فهو الذى أبى الجبال ذهبا ...... هذه القصة العظيمة أسوقها الى صنفين من الناس : صنف الغرباء وصنف التجار .... أما صنف الغرباء فهم طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم علي الحق ظاهرين ... غرباء لأنهم يتحركون ضد تيار المادية والأنانية فهم متميزون فى تفكيرهم يؤمنون أن الزواج علاقة روحية سامية وارتباط انسانى جميل .... ورحلة من المودة والسكن والرحمة . يسروا فيسر الله لهم وعليهم ويسر بهم ..... أسوق لهم هذه القصة من حياة قدوتهم وقائدهم ليزدادوا يقينا الى يقينهم بأنهم على الحق ومعه وبه من العاملين ..... وليزدادوا ايمانا على ايمانهم بأنهم لسنة نبيهم عليه السلام من المطبقين ... وليزدادوا اطمئنانا بأنهم من الفائزين فى يوم لاينفع فيه الا القلب السليم .

أما التجار فهم وللأسف السواد الأعظم من هذه الأمة .... يؤمنون بأن الزواج صفقة مادية وبأن فتياتهم بضائع تعرض فى هذا السوق - المحموم - للمزايدة ولمن يدفع أكثر ..... أسوق هذه القصة لهم لأذكرهم بأنهم يظلمون أبنائهم وبناتهم ويظلمون أنفسهم ..... يعسرون على غيرهم فيعسر غيرهم عليهم ثم يضطرون للبحث لفتياتهم عن أزواج وهم يرون أن قطار الزمن يفوتهن وأنهن يتعذبن نفسيا وفى طريقهن للجوء الى المنكر الأكبر والى الفاحشة التى ساءت سبيلا .

ان (١) التاريخ يحدثنا أن المهر كان فى أطواره يتسم بالبساطة واليسر ويكون من نوع الموجود في كل زمن وبيئة .

فالأعرابى يمهر زوجته جملا أو بعض شويهات ، والفلاح يمهرها نخلا أو ثمرا أو أرضا ، والتاجر يمهرها بعض النقود أو بعض الأطعمة والملابس والصائغ يمهرها شيئا من انتاجه ، والعالم والمتعلم يمهرها من علمه اذا لم يجد غيره . وهكذا لم يحتم الله علينا أمرا معينا ولم يعقد - برحمته - الحياة على خلقه ، ولكنهم هم أنفسهم يسعون لتعقيد حياتهم وربطها بتقاليد تبعد كثيرا عن أهداف الزواج ومراميه السامية ومن هذا نعلم أن المهر فى أصله عمل نبيل وشرعة حسنة وسبب مبارك لبدء حياة زوجية سعيدة وبناء علاقة شريفة ولكن الناس صرفوه عن حقيقته .

ولعل من المفيد أن أذكر هنا النتائج الوخيمة المترتبة على التغالى في المهور كما ذكرها الشيخ المسند علنا نثوب الى رشدنا ونعود الى سنة نبينا صلى الله عليه وسلم . أما النتائج فهى كمايلى

١ - بقاء الرجال أيامى ، وبقاء البنات عوانس ، وهذا معناه تعطيل الزواج وايقاف سنة الله فى الأرض .

٢ - حصول الفساد الأخلاقى فى الجنسين لأنهم عندما ييأسون من الزواج يبحثون عن بديل لذلك .

٣ - كثرة المكشلات الاجتماعية بسبب عدم جريان الأمور بطبيعتها ، ووضع الشىء فى غير موضعه .

---

(١) من محاضرة للشيخ عبدالله المسند بعنوان التغالى في المهور - ندوة المحاضرات ١٣٩٤ رابطة العالم الاسلامى ، مكة المكرمة .

٤ – حدوث الأمراض النفسية فى صدور الشباب من الجنسين بسبب الكبت وارتطام أفكارهم بخيبة الأمل .

٥ – خروج الأولاد عن طاعة آبائهم وأمهاتهم ، وتمردهم على العادات والتقاليد الكريمة الموروثة

٦ – عزوف الشباب عن الزواج بالمواطنات ورغبتهم فى الزواج من غيرهن وهذا أمر من الخطورة بمكان ، لذ يترتب عليه مشكلات لاحصر لها ، فيشقى الرجل بحياته الزوجية التى ارتبط بها بامرأة تخالفه فى الفكرة والبيئة والعادات والرغبات .... ان البنات أنفسهن يكرهن التغالى فى المهور لما يعلمنه من وقوفه حجر عثرة دون زواجهن ، وتحقق أملهن ، وهن اللاتى يصطلين بنار الوحدة والحرمان ، ولكنهن لايفصحن عما فى أنفسهن بل يمنعهن الحياء ، فرحمة بهن أيها الناس ..... رحمة بمجتمع يسير نحو الهاوية والدمار ...... وبعد : اللهم نور قلوبنا بنور الايمان وعقولنا بنور المعرفة وأدخلنا برحمتك التى وسعت كل شيء واجعلنا من الغرباء الذين يصلحون من سنة محمد صلى الله عليه وسلم ماأفسد الناس .

(اللحظة الحرجة)

سيطرق الموت أبوابنا بل انه سيأتى بلا استئذان فقد أتينا الى هذا العالم دون أن نستشار ونرحل من هذه الدنيا دون أن نختار ....

ان أعمارنا محدودة وأيامنا على الأرض معدودة .... فأعمارنا بالقياس الى المدى الهائل من الأزل الى الأبد ومضة برق أو غمضة عين .

يأتى الانسان الى الدنيا باكيا .... يخرج من رحم غامض الى رحم الحياة الأكثر غموضا ... يشرع الزمن يستهلكه .... يختلس ساعات حياته وأيامها والسنين .... يكد الانسان فى الحياة .... يتعب .... يكابد .... يكدح ...... يجد

ويجتهد .... وتتسع دوائرحياته كما تتسع دوائر الماء فى بركة صافية ألقى فيها حجر صغير هو الزمن وتعود الدوائر الى السكون ونحن نعتقد أننا نسكن ونرتاح بالموت ولكن هل الموت هو النهاية التى ليس بعدها الا جسد فى فرة صغيرة تعج بالديدان ؟ وتنتهى الحياة بكدها وتعبها ان الموت هو البداية وليس النهاية ...... هو البداية الحق لحياة حقيقية المصير فيها يتوقف على الأسلوب الذى عاش به الانسان فى رحلته القصيرة من محطة الولادة الى محطة الموت.

ولحظة الموت ننتبه من غفوتنا ونصحوا من سكرتنا ..... " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد " ق ٩ .

" لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك عطاءك فبصرك اليوم حديد " ق ٢١ أنذاك وهناك يبصر الانسان ولهذا يقول على رضى الله عنه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .

فماالذى يحدث في تلك اللحظة الحرجة الخطيرة ... لحظة تقرير المصير .... لحظة تنطفىء آخر شمعة وآخر ثانية فى حياة الانسان ؟!

يروى الامام أحمد فى مسنده وابن حيان وأبو عوانة السفرايني فى صحيحيهما من حديث المنهال عن راذان عن البراء بن عازب قال :
" خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة فجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له ، فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال : ان المؤمن اذا كان فى اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت اليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن فجلسوا منه مد بصره ثم يجىء ملك

الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال : فتخرج تسيل كما القطرة من فى السقاء ، فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال فيصعدون بها فلايمرون بها يعنى على ملأ من الملائكة الا قالوا ماهذا الروح الطيب فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا . حتى ينتوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه الى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى : قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : دينى الاسلام فيقولان له : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ، فيقول :

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وماعلمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، قال: فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالي ، قال وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال على الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس

الخبيثة أخرجي الى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ماهذا الروح الخبيث فيقولون :

فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى الى سماء الدنيا فيستفتح له فلايفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط " فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين فى الأرض السفلى وتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق " فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول هاه هاه ، لا أدرى فيقولان له مادينك ؟ فيقول هاه هاه ، لاأدرى فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه ، لاأدرى . فينادى كمناد من السماء : أن كذب عبدى فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة " ....

هاتان صورتان متضادتان وعلى النسان أن يجتهد على رصيد الصالحات فى حياته يضعه فى قبره فنحن على موعد مع الرحيل وماهى الا أنفاس تخرج وقد لاتعود .

لقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاكثار من ذكر هادم (١) اللذات وهو الموت الذى ستذوقه كل نفس فبذكره يقل الطمع والشره على جمع الدنيا وتؤدى الحقوق الى مستحقيها ويكثر الانسان من الصالحات ويقصر أمله فيستزيد من دنياه لآخرته وخير الزاد التقوى فيخاف من الجليل ويعمل بالتنزيل ويرضى بالقليل ويستعد ليوم الرحيل.

---

(١) هاذم أى قاطع فمعناه مزيل الشئ عن أصله .

صفقة الحياة : (١)

الحياة صفقة بين الخالق والمخلوق ... بين الرازق والمرزوق ... بين الرحمان وعبد الرحمان ... بين الله جل جلاله وبين عبدالله ... وأعقل العقلاء وأذكى الأذكياء هم الذين يتاجرون مع الله " ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به " التوبة (ا) ثم ماذا ؟ " وذلك هو الفوز العظيم " .

وأما مادة الصفقة ونتيجتها فالجنة وثمن الصفقة بيع الأنفس والأموال " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " التوبة (ا) .
ولكن ماهى الجنة التى من أجلها نبيع لله أنفسنا وأموالنا ؟ ان الجنة فوق مايخطر بالبال أو يدرو فى الخيال . " اذ كيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرا لأحبائه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فان سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران، وان سألت عن سقفها فهو عرش الرحمان ، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وان سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر . وان سألت عن بنائها فلبنتة من فضة ولبنة من ذهب . وان سألت عن شجرها فما فيها شجرة الا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب . وان سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلي من العسل . وان سألت عن ورقها فأحسن مايكون

---

(١) الآيات ٢٤٥ البقره ، (١) التوبة ، ٣٧ النور ، ١٠ الصف ، ٧٤ النساء ، ١٨ الحديد ، ٢٠ المزمل وغيرها كثير تدل على أن الحياة صفقة لأنها تتحدث عن التجارة والبيع والشراء والاقراض وهذه كلمات لاتستخدم الا فى العقود والصفقات .

من رقائق الحلل . وان سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفي . وان سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وان سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور . وان سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير . وان سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وان سألت . عن تصفيق الرياح لأشجارها فانها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وا ن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لايقطعها ، وان سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام .... وان سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر ، وان سألت عن أعمارهم فأبناء ثلاث وثلاثين وصورتهم على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ...... وان سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين . . وان سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها فنجائب ان شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤا من الجنان ...... وان سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون . وان سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب .... لو أطلعت على الدنيا لملأت مابين الأرض والسماء ريحا ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا . ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على الأرض بالله الحى القيوم .... فما ظنك بامرأة اذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها .... " (١)

---

(١) هذه مقتطفات من وصف الجنة وردت عن بعض الصحابة وقد نقلتها من كتاب " حادى الأرواح الى بلاد الأفراح " للامام ابن الجوزية الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت صفحة ٢٠٠ – ٢٠٢ .

وحين أيقن الصحابة حق اليقين الجنة وعرفوها حق المعرفة تعلقت قلوبهم بنعيمها فباعوا الدنيا ومافيها وقال أحدهم : " لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة " كلمة قالها " عمير بن الحمام " حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " قوموا الى جنة عرضها السماوات والأرض " ....

فيقول عمير متعجبا : عرضها السماوات والأرض ؟!

فيقول عمير متعصبا : عرضها السموات والارض ؟ !

فيقول له : نعم . فيقول عمير : بخ بخ . فيسأله رسول الله ومايحملك على بخ بخ ؟ فيقول : لا والله يارسول الله .الا رجاء أن أكون من أهلها .

فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فأنك من أهلها » .

ويخرج عمير تمرات كانت معه ليأكلها ويتقوى بها ولكنه ينظر إلى نفسه متعجبا ويقول : لئن أنا حييت حتى أكلت تمراتى هذه ، انها لحياة طويلة » ويقذف ما كان معه من تمرات ويسرع إلى قلب المعركة شاهرا سيفه منشدا لنفسه :

ركضا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد

والصبر فى الله على الجهاد ... غير التقى والبر والرشاد

ويحمل على المشركين حتى يخر شهيدا ... لقد فاز فوزا عظيما وربح صفقة الحياة ... وهذا صحابي أخر يتحسس جراحاته الكثيفة التى غض بها جسده . بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواثب بين الجثث المترامية هنا وهناك باحثا عن ذلك الصحابي الجليل « سعد بن الربيع» ثم ليراه قد توضع فى ركنا من أركان أرض المعركة وهو يلج باب الاخرة حيث النعيم إلى الابد فسعى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقف بين يديه فيقول : رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني ؟

أأنت فى الاحياء أم فى الاموات ؟ فانتفض سعد من كبوة الموت حين سماعه

اسم رسول الله وقال : وعلي رسول الله السلام وقال له : قل لرسول الله أجدني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار أن لاعذر لكم عند الله ان يخلص الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وفيكم جفن يطرف وفاضت روحه الى ربها راضية مرضية رضي الله عنه ..... وربح صفقة الحياة ..... ولقد قالها أنس ابن النضر رضي الله عنه : " اني لأجد ريح الجنة من دون أحد " .

" ولقد أتى رجل من المسلمين يوم اليرموك وقال لأمير الجيش : اني قد تهيأت لأمرى ، فهل لك من حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ، تقرئه عني السلام وتقول : يارسول الله انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا " ...... ويقول الندوى معلقا على هذه القصة : " أفيقول هذا الا من يوقن أنه مقتول في سبيل الله ، وملاق رسول الله ومجتمع به في نعمة الله ، وأنه مكلمه ومحدثه ، فاذا حصل لرجل مثل هذا اليقين ، فما الذى يمنعه من إستقبال الموت ، وماالذى يحول بينه وبين الشهادة ؟ " (١) لقد خبت هذه التضحيات واضمحلت لأننا لم نفهم الحياة بعد ولم نتيقن أنها صفقة قد تربح وقد تخسر وربحها أو خسارتها يعتمد على مدى استعدادنا لعقد الصفقة ودفع الثمن .لقد أعطانا الله كل شيء ويريدنا أن نبيع كل شيء والا فاننا سنخسر كل شيء.

---

(١) الى الاسلام من جديد للندوى – دار القلم دمشق بيروت – الطبعة الرابعة ص ٨٥ .

التبرج

التبرج هو أن تظهر المرأة للرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها مايوجب عليها الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها .

وقد بين الشيخ المودودى أن كلمة التبرج اذا استعملت للمرأة كان لها ثلاثة معان:-

- أن تبدى للأجانب جمال وجهها ومفاتن جسدها .
- أن تبدى لهم محاسن ملابسها وحليها .
- أن تبدى لهم نفسها بمشيتها وتمايلها وتبخترها .

والتبرج محرم فى الكتاب والسنة واجماع الأمة . وماتفعله أكثر نساء هذا الزمان من التهتك والتبرج واظهار الزينة والذهب ماهو الا مجاهرة بالعصيان وتشبه بالكافرات وإثارة للفتنة .

وذلك أن خروج المرأة وقد كشفت رأسها أو عنقها أونحرها أو ذراعيها أو ساقيها من أعظم المنكرات المخالفة للشرع المطهر .

وكذلك خروجها للثياب المظهرة للمفاتن أو الشفافة التي لا تستر ماتحتها فهذا ونحوه كله من التبرج الذى حرمه الله ورسوله .

ومن أعظم الذنوب وأضر الفتن ماتفعله أكثر نساء هذا الزمان من خروجهن من بيوتهن فاتنات مفتونات على حال من التبرج والطيب واظهار المفاتن ومخالطة الرجال .

لقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالنهي عن التبرج وتحريمه والوعيد الشديد لما يترتب عليه من المفاسد فمنها : * قول الله تعالى : " وقرن في

بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولي " الأحزاب ٣٣ ..... أى إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان : رواه الترمذى والبزار.

ويلاحظ فى هذه الآية أن الخطاب موجه لأطهر النساء .... موجه الى أمهات المؤمنين وهن القدوة الحسنة لغيرهن والنموذج الطيب لنساء المؤمنين جميعا فى كل زمان ومكان . فالخطاب الى نساء النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ولنساء المسلمين عامة ويدل على ذلك عموم الأحكام المذكورة قبل هذه الآية وبعدها من عدم الخضوع بالقول للرجال والأمر لهن بالقول المعروف الذى لا مطمع فيه للرجال والنهي عن تبرج الجاهلية الأولي ، والأمر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فان هذه الأوامر أحكام عامة لنساء -النبى صلى اله عليه وسلم - وغيرهن .

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم ويحذر من التبرج والسفور ولبس الرقيق والقصير من الثياب لأن هذه الأفعال تقود أصحابها الى الحرمان من الجنة : " صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " رواه مسلم .

وهذا الحديث من معجزاته صلي الله عليه وسلم لقوله : " لم أرهما " حيث وجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب قصيرة العاريات بما ظهر من أجسادهن ، ووجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب وخمر شفافه لاتستر ماتحتها فهن عاريات بما يظهر من أجسادهن من وراء تلك الثياب ، وشبيه

بالعرى بل قد يكون أبلغ منه في الفتنه لبس الثوب الضيق الذى يظهر مفاتن المرأة ومعازلها ..... وبناء على ماتقدم فالتبرج يضر النساء والرجال فى الدنيا والآخرة ويزرى بالمرأة ويدل على جهلها وهو حرام على الشابة والعجوز والجميلة وغيرها فتبرج المرأة ضرره عظيم وخطره جسيم لأنه يخرب الديار ويجلب الخزى والعار ويدعو الى الفتنة والدمار ، لقد اتبعت المرأة المتبرجة خطوات الشيطان ، وخالفت أوامر السنة والقرآن ، وتعدت حدود الله واجترأت علي الفسق والعصيان وان مما يحز في النفس ويبكي العين ويؤلم القلب مايشاهد من آلاف الفتيات في الشوارع والمدارس والمعاهد والمشافي والمصانع والجامعات وهن سافرات الوجوه ، كاشفات الأذرع عاريات السيقان ولا يلتفتن الى أوامر العزيز الجبار وأوامر النبي صلى الله عليه وسلم الناهية عن التبرج والسفور والأمرة بالستر والتستر والحجاب .

أختي المسلمة : احذرى أن تكوني من المتبرجات الفاسدات المفسدات الجاهلات اللواتي يسرن بسرعة البرق الى النار الى جهنم التى حرها شديد وقعرها بعيد وماؤها صديد وأغلالها حديد .

أختي المسلمة : احذرى من التشبه بنساء الكفار حتى لاتكونى معهم ومنهم : " من تشبه بقوم فهو منهم " رواه أحمد وأبوداوود وابن حيان وصححه ..... بل سيرى علي درب الطاهرات العفيفات المؤمنات كخديجة وفاطمة وعائشة وأسماء رضوان الله عليهن حتى يحشرك الله معهن فتفوزى برضوان الله ورحمة الله وجنة الله حيث النعيم المقيم الى أبد الآبدين .

غض البصر

لقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بالغض من أبصارهم عن النظر المحرم لأن النظر بريد الزنا فقال تعالى : " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم ان الله خبير بما يصنعون " النور ٣٠ .

والأمر في الآية يعم النساء والرجال ثم يخص المؤمنات بالأمر بالغض من أبصارهن وحفظ فروجهن وعدم ابداء زينتهن للأجانب فقال تعالى : " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..... " النور ٣١ . وقال تعالى : " ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا " الاسراء ٣٦ .... فأخبر تعالى أن الانسان مسئول عما يسمعه أو يبصره أو يكنه ضميره هل هو حلال أو حرام فليعد الانسان لهذه الأسئلة جوابا صريحا صحيحا عن طريق محاسبة نفسه فيما يسمعه أو يبصره أو يفكر فيه .

فكما أنه يجب على الرجل أن يغض من بصره عن النساء فكذلك المرأة يجب عليها أن تغض بصرها عن الرجال من غير محارمها لغير حاجة أو ضرورة فالنظرة سهم مسموم من سهام ابليس وكل الحوادث مبدؤها من النظر والعين تزنى وزناها النظر ..... وقال أحد الحكماء : القلب مثل بيت له ست أبواب ثم قال : احذر ألا يدخل عليك من أحد الأبواب شيء فيفسد عليك البيت ، والأبواب هي العينان واللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت . وفرض اللسان الصدق فى الرضا والغضب وكف الأذى . وفرض البصر الغض عن المحارم وترك التطلع فيما حجب وستر .

وفرض السمع تبع للكلام والنظر فكل مالايحل لك الكلام فيه والنظر اليه فلايحل لك استماعه ولا التلذذ به والبحث عما كتم عنك تجسس .... "وفى غض البصر منافع كثيرة وفوائد عديدة منها :

- انه امتثال لأمر الله الذى هو غاية سعادة العبد في الدنيا والآخرة .
- أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذى ربما كان فيه الهلاك .
- انه يورث القلب نورا واشراقا كما أن اطلاقه يكسبه ظلمة تظهر فى الوجه والجوارح .
- وغض البصر يخلص القلب من ألم الحسرة فان من أطلق بصره دامت حسرته
- أنه يورث صحة الفراسة الصادقة التي يميز بها بين الصادق والكاذب .
- أنه يفتح - لمن يغض بصره - باب العلم والايمان والمعرفة بالله وأحكامه .
- ان غض البصر يورث القلب ثباتا وشجاعة .
- انه يورث االقلب سرورا وفرحا وحلاوة أعظم من اللذة الحاصلة بالنظر .
- انه يخلص القلب من أسرار الشهوة فان الأسير هو أسير هواه وشهوته .
- أنه يفرغ القلب للتفكر فى مصالحه والاشتغال بها ، واطلاق البصر يشتت عليه ذلك .
- ان غض البصر يقوى العقل ويزيده ويثبته واطلاق البصر وارساله لايحصل الا من حفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب :

قال الشاعر :

وأعقل الناس من لم يرتكب عملا … حتى يفكر ما تجني عواقبه

- وغض البصر يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة واطلاق البصر

يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة .

وفوائد غض البصر وآفات ارساله أكثر من أن تحصي والحر تكفيه الاشارة(١)

أسباب وآثار التبرج والاختلاط

للتبرج والاختلاط أسباب كثيرة نذكر منها :

- ضعف الايمان في النفوس فالايمان الصادق اذا تمكن في القلب ظهرت آثاره فيتقيد المتصف به بأوامر الله ونواهيه ، واذا ضعف الايمان في النفوس استحسنت القبيح واستقبحت الحسن وصار المعروف عندها منكرا والمنكر معروفا ولاحول ولاقوة الا بالله .

- تقاعس المسلمين عن الدعوة الى الله وكسلهم عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتثاقلهم عن القيام بفريضة الجهاد فى سبيل الله حتى تركت الواجبات وارتكبت المنهيات و " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس " الروم ٤١ .

- قلة العلم الشرعي وظهور الجهل وقلة العلماء العالمين بعلمهم الذين يحملون القدوة الحسنة لمجتمعاتهم وكثرة الجهال الذين يحملون القدوة السيئة لهم .

- سوء التربية والتوجيه والتعليم أولا من جهة الآباء لجهلهم وغفلتهم أو استهتارهم ، وثانيا من جهة المدرسة التى لاتضم الموجهين الأكفاء دينا وعلما وخلقا وسلوكا من الرجال والنساء .

- وسائل الدعاية والنشر من الصحف والمجلات والاذاعات والمسلسلات التلفزيونية المشجعة على التبرج والسفور والاختلاط .

---

(١) أنظر رضه المحبين لابن القيم ص ٩٠ -٩٥ والجواب الكافى له ص ٢٠٥

- نظرة أكثر الناس الى أوروبا وأمريكا وأنها فى نظرهم المثل الأعلى فى الحضارة والتقدم فيحاولون تقليدهم فى كل شيء ويظنون أن الأمة اذا تبرجت واختلطت وإنحلت صارت قوية مثل أوروبا وأمريكا ، وماعلموا أن القوة لله جميعا " انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " يس ٨٢ ...... وفي قصص الأمم الماضية فى نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين في القرآن لنا عظة وعبرة حيث أهلكهم الله فى الدنيا وأعد لهم عذاب النار فى الآخرة لما كفروا به وعصوا رسله ولنتأمل قول الله تعالى : " ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى " طه ١٣١ .

وقوله تعالى : " ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار " ابراهيم .... وقوله تعالى : " لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد " آل عمران ١٩٦ - ١٩٧ . لقد تحدثنا عن أسباب التبرج والاختلاط وسنتحدث عن آثار التبرج والاختلاط لأننا اذا عرفنا الداء وشخصنا المرض سهل علينا معرفة العلاج الشافى خاصة اذا كان المرض قاتلا كمرض التبرج والاختلاط . ولنستمع الى الآثار السيئة للتبرج والاختلاط علنا نثوب الى رشدنا ونرجع الى ربنا :

- من أخطر الآثار حلول الزنا والسفاح محل الزواج الشرعى . وجريمة الزنا أخطر على البشرية من الهزات الأرضية والقنابل الذرية لأن فيه اختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض وانتشار الأمراض .
- فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشى الطلاق لاستغناء كل من الزوجين عن الآخر بغيره نسأل الله العافية والسلامة .
- شيوع الفواحش وسيطرة الشهوات فتطغى الشهوات وتنتشر المفاسد وتكثر الأمراض .

- القضاء على النسل البشرى والنوع الانسانى فاذا اكتفى الناس بالزنا محل الزواج الشرعى فان الزانية لاترغب فى الحمل الذى يهدد جسمها ويلحقها بسببه العار والفضيحة لذلك فهيه تحاول الخلاص منه بكل وسيلة . ومما ينذر بالخطر ظاهرة عزوف الشباب والشابات عن الزواج الشرعى ولذا فهم يبذلون الوسائل لقضاء وطرهم مما حرم الله عليهم. حتى أن أحد هؤلاء يقول : " اذا كان الحليب فى السوق فلماذا أشترى البقرة " يقصد هذا الساقط المنحط أن لاحاجة الى الزواج مادام يقضي وطره بالزنا بوجود بقرة " زانية " بل اننا نظلم البقرة لأنها نافعة مفيدة أما الزانية فاضل من الأنعام ، وأحط وأحقر من الكلاب
- ومن الآثار كذلك انتشار العادات السيئة كالعادة السرية - الاستمناء - والزنا واللواط وخصوصا بين المراهقين بسبب تهيج الشهوة الناتج عن المشاهدة والمخالطة بين الجنسين مع التبرج والزينة والعرى والسفور .
- شقاء الرجل والمرأة على السواء لأن كلا منهما لايجد الحياة السعيدة الا فى الحياة الزوجية المستقيمة . لأن فيها المودة والرحمة والسكن الحلال " ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لوقم يتفكرون " الروم ٢١ .
- الاساءة الى المرأة بالذات فخروجها متبرجة متزينة متعطرة مخالطة للرجال يعرض عفافها وعرضها للأذى والسوء والفحشاء من قبل الأشرار والسفهاء .
- الانهيار الخلقى الشامل بسبب هذه الأخطار والأمراض والمساويء فينتشر الكذب والخداع والغش والخيانة وتفشى العادات الخبيثة والمعاملات السيئة وينعدم الحياء والحشمة والعفة .

شقاء الروح والقلب لأن غذاء الروح ونعيم القلب بمعرفة الله والايمان به ومحبته وخوفه ورجائه وعبادته بالصلاة والصدقة والصيام والذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن ومجالسة الأخيار والبعد عن الأشرار . والمجتمع المختلط المتبرج

محروم من ذلك لأنه فى غفلة عن الله والدار الآخرة .
هذه بعض آثار وعواقب التبرج والاختلاط بين الجنسين وهي عواقب سيئة وخطيرة وأليمة ووخيمة تهدد المجتمع الانساني بالانحطاط وتهبط بالانسان الى أقل من مستوى الحيوان .

لذا فان الاسلام قد حرم الاختلاط بين الرجال والنساء وحرم الخلوة وحرم المصافحة وحرم سفر المرأة الا مع ذى محرم وأمر بالاستئذان وبين أحكامه وأمر بالتفريق بين الأخوة في المضاجع لأن لكل من الرجل والمرأة بيئته الخاصة به . كل هذه الاحتياطات والأحكام لتأمن الانسانية وتسلم البشرية ويحتفظ الانسان بكرامته وانسانيته ودينه : " ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقيي السمع وهو شهيد " ق ٣٧ .

شروط الحجاب الشرعى

لقد رأى اعداء الاسلام اقبال المسلمات على العودة الى الله ..... ومن مظاهر العودة والصحوة ارتداء الملابس الشرعية فهالهم الأمر وأفزعهم وراحوا يكيدون ويدبرون ويمكرون ويبذلون الجهود بمساعدة زعيمهم ابليس لايقاف هذا المد الايماني وللأسف فقد نجحوا باستخدام سياسة الخطوات الشيطانية في حرف مفهوم اللباس الشرعى فى ذهن الفتاة المسلمة فأصبح مايسمي بالجلباب الشرعى أكثر إثارة من غيره من الأزياء اما لضيقه بحيث يظهر المفاتن ويبرز معالم الجسم أو لأنه سميك بحيث يشف ويبين ماتحته أو للحزام المزركش الذى تلف الفتاة به خصرها أو للفتحة المثبتة فيه من الأمام أو الخلف أو الجوانب أو لقصره بحيث لايغطى القدمين أو أسفل الساقين .
لذا لابد من الحديث عن شروط الحجاب الشرعى حتى تكون الأخت المؤمنة

على بينة من أمر دينها وحتى لاتكون من الأخسرين أعمالا " الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " الكهف ١٠٤ .

وهذه الشروط المطلوبة فى الحجاب حتى يستحق صفة الشرعية هى :
- أن يكون ساترا لجميع البدن . لقوله تعالى : " يدنين عليهن من جلابيبهن " والجلباب هو الثوب السابغ الذى يستر البدن كله ، ومعنى الادناء هو الارخاء والسدل فيكون الحجاب الشرعى ماستر جميع البدن .
- أن يكون كثيفا غير رقيق ولا شفاف لأن الغرض من الحجاب الستر فاذا لم يكن ساترا لايسمى حجابا لأنه لايمنع الرؤية ولايحجب النظر .
- أن لايكون زينة فى نفسه أو مبهرجا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار لقوله تعالى " ولايبدين زينتهن الا ما ظهر منها ....." ومعنى " ماظهر منها " أى بدون قصد ولاتعمد ، فاذا كان فى زينة فلايجوز ارتداؤه ولايسمى حجابا لأن الحجاب هو الذى يمنع ظهور الزينة للأجانب .
- أن يكون واسعا غير ضيق لايشف عن البدن ولايجسم العورة ولايظهر أماكن الفتنة فى الجسم .
- أن لايكون الثوب معطرا فيه اثارة للرجال لقوله صلى الله عليه وسلم . " ان المرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهذا كذا كذا " يعنى زانية . رواه أصحاب السنن وقال الترمذى حسن صحيح وفى رواية أخرى : " ان المرأة اذا استعطرت فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية " .
- أن لايكون الثوب فيه تشبه بالرجال لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة : " لعن النبى - صلى الله عليه وسلم - الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل " رواه أبوداوود والنسائى .... وفى الحديث : " لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء " رواه البخارى ..... ، يعنى المتشبهات بالرجال فى أزيائهن وأشكالهن كالكثيرات من نساء هذا الزمان ،

والمخنثون من الرجال : هم المتشبهون بالنساء في لبسهم وحديثهم وغير ذلك .

الآفة المهلكة

الغيبة من الأخلاق الذميمة التى حرمها الاسلام . وعندما سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى المسلمين خير ؟ قال : " من سلم المسلمون من لسانه ويده " رواه مسلم .

وقد أمرنا الله باجتناب الغيبة " ولايغتب بعضكم بعضا " أى لايتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب تعالى للغيبة مثلا فقال : " أيحب أحدكم لحم أخيه ميتا فكرهتموه " .... قال أبوزيد السهيلى : " ضرب المثل بطعن العرض بأكل اللحم ، لأن اللحم يستر على العظام ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ماعليه من ستر ، وقال الله تعالى " ميتا " لأن الميت لايحس ، وكذلك الميت لايسمع مايقوله فيه المغتاب ..... " . ومن أشد أنواع الربا استطالة المسلم فى عرض المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم " ان من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق " رواه أحمد وأبو داوود .

فإن قيل ما الغيبة ؟ قيل قد بين النبي صلى الله عليه وسلم معناها بقوله أتدرون ماالغيبة ؟ قالوا : ان الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بمايكره ، قال " أحدهم " : أفرأيت ان كان في أخي ماأقول ؟ قال : ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وان لمن يكن فيه فقد بهته ، رواه مسلم . وتكون الغيبة بالتعريض وبالكناية وبالحركة وبالرمز والاشارة باليد وكل مايفهم منه المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام . فقد روى أبوداوود والترمذى وصححه قول عائشة عن صفية أنها قصيرة وأن النبى صلي الله عليه وسلم قال لعائشة : " لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحرلمزجته" وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة

الإسراء قوما يأكلون الجيف وعندما سئل عنهم أجابه جبريل عليه السلام بأنهم الذين يأكلون لحوم الناس .

فالغيبة عادة مرذولة ، كثيرا ماتقطع الصلة بين الناس وتثير الأحقاد ، وتشتت الشمل ، ثم هي مع ذلك مضيعة للوقت بالاشتغال بما يضر الانسان ، ولاينفعه ، لذا يجب الانكار علي المغتاب وردعه اذ يحرم سماع الغيبة ولقد أمر الله سبحانه وتعالي من يسمع الغيبة أن يردها ويذكر المغتاب بحرمة قوله فان لم يقبل نصحه فعليه - السامع - مفارقة مجلس السوء ، يقول تعالي : " واذا رأيت الذين يخوضون فى أياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين " الأنعام ٦٨ .

ان خطر اللسان عظيم ليس كغيره من الأعضاء فان العين لاتصل الى غير الألوان والصور ، والأذن لاتصل الى غير الأصوات واليد لاتصل الى غير الأجسام ، واللسان يجول في كل شيء وبه يتبين الايمان من الكفر ، فلايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .... وقد يتكلم الانسان كلمة مايتبين مافيها يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

فالغيبة من آفات اللسان ومن الذنوب التى قل من يسلم منها كالكذب والرياء والمداهنة . والخطر يكمن فى أنها من الذنوب المتعلقة بحقوق العباد فى جناية على أعراض الناس وهم غافلون والمغتاب يقع فى جنايتين :

الأولى : على حق الله ، فكفارة ذلك التوبة والندم .

الثانية : على محارم المخلوقين فان كانت الغيبة قد وصلت الى الذى أغتيب جاء لمغتاب واستحله وأظهر له الندم على فعله ، وان كانت لم تبلغه يستغفر له بدل

الإستحلال حتى لايوغر صدره بما لايعلم .

واذا ترتب على الغيبة مصلحة أو درء مفسدة تكون لازمة واذا ترتب عليها أمر جائز فجائزة فلاتكون الغيبة مباحة الا اذا أدت غرضا شرعيا صحيحا ولايمكن الوصول الى هذا الغرض الشرعى الا بها وقد بين العلماء هذه الأغراض التي تجعل الغيبة مباحة وهي :

- الظلم ، فان للمظلوم أن يذكر الظالم لكى يستوفي حقه .
- الاستعانة على تغيير المنكر وردع الظالم عن ظلمه لمن يظن أن له قدرة على ازالته ، فان له أن يقول أن فلانا ارتكب كذا وفعل كذا .
- الاستفتاء : مثل أن يقول المستفتي للمفتي ، ان فلانا ظلمني فى كذا وكذا ، فهل يجوز له ذلك وماالحل والعمل ؟ .
- التحذير : تحذير المسلمين من الشر ونصحهم فيصح أن يبين النقائص والعيوب فى انسان ما ليحذر منه .
- أن يكون معروفا بلقب كالأعرج فلا اثم على من يذكره به على سبيل التعريف
- أن يكون مجاهرا بفسقه كالمجاهرة بالخمر حين يشربها .

ولابد من الحديث عن الأسباب الباعثة على الغيبة لتجنبها والبعد عنها وهي

(١) تشفي الغيظ بذكر مساوىء الموقوع في عرضه بالغيبة قولا أو فعلا .

(٢) موافقة الأقران والزملاء ومساعدتهم فاذا كانوا يتفكهون فى الأعراض يساعدهم ويعتبر ذلك من حسن المعاشرة .

(٣) ارادة المغتاب رفع نفسه بتبغيض الناس في من يغتابه .

(٤) المبادرة باغتياب من يتوقع أن يغتابه ليكون البادىء فى الطعن والهجوم

(٥) الحسد

(٦) اللعب والهزل والمزاح لإضحاك الناس .

(٧) السخرية والإستهزاء بالآخرين وانتقاصهم واحتقارهم .

(٨) اظهار الغضب لله على منكر قارفه انسان فيذكر الانسان باسمه وكان الواجب نصحه بدل الغيبة .

نسأل الله أن يرزقنا حفظ جوارحنا عن المعاصى ماظهر منها ومابطن وأن ينق قلوبنا من الحقد والحسد .

العجوز المعجزة

قال عبدالله بن المبارك : خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذا أنا بسواد فتميزت ذلك فاذا بعجوز عليها درع من صوف وخمار فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقالت : "سلام قولا من رب رحيم " فقلت لها : يرحمك الله ماتصنعين فى هذا المكان قالت " ومن يضلل الله فما له من هاد " فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها : أين تريدين ؟ قالت " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصي الذى باركنا حوله ..... " فعلمت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها " أنت من كم فى هذا الموضع ، قالت "ثلاث ليال سويا " فقلت : ما أرى معك طعاما تأكلين ؟ قالت هو يطعمني ويسقين " فقلت بأى شيء تتوضئين ؟ قالت " فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا " فقلت لها : ان معي طعاما فهل لك فى الأكل ؟ قالت " ثم أتموا الصيام الى الليل " فقلت : أبيح لنا الإفطار في السفر .

قالت " وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون " فقلت لها : لم لاتكلميني مثل ماأكلمك ؟ قالت " مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد " . فقلت لها من أى الناس أنت ؟ قالت :" ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل

أولئك عنه مسؤولا " فقلت : لقد أخطأت ، فاجعليني في حل قالت : " لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم " فقلت : فهل لك أن أحملك علي ناقتي فتدركي القافلة قالت " وماتفعلوا من خير يعلمه الله " قال : فأنخت الناقة فقالت " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " فغضضت بصرى عنها فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " فقلت لها اركبى ، قالت " سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت " وأقصد في مشيك واغضض من صوتك " فجعلت أمشي رويدا رويداوأترنم بالشعر فقالت " فاقرؤا ماتيسر من القرآن " فقلت لها : أوتيت خيرا كثيرا فقالت : " وما يذكر الا أولى الألباب " فلما مشيت بها قليلا قلت لها : ألك زوج ؟ قالت " يأأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم " فسكت ولم أكلمها حتى أدركت القافلة فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " فعلمت أن لها أولاد فقلت : وماشأنهم في الحج ؟ قالت : " وعلامات وبالنجم هم يهتدون " فعلمت أنهم أدلاء الركب ، فقصدت القباب والعمارات فقلت : هذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت : " واتخذ الله ابراهيم خليلا " ، " وكلم الله موسي تكليما " ،" يايحيي خذ الكتاب بقوة " فناديت : ياابراهيم ، ياموسي ، يايحيي ، فاذا الشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت : " ابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه " فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت " كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية " فقلت ألا إن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا : هذه أمنا لها أربعين سنة لاتتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن . فقلت : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ".

أخواتي المسلمات : لايمكن للكلمات أن تسعفني في التعليق على هذه القصة

ولذلك سأترك التعليق عليها لكن !

ولكنى سأثبت قصيدة للصنعاني في الحث على التمسك بكتاب الله يقول فيها :

"وليس اغتراب الدين الا كما ترى — فهل بعد هذا الاغتراب اياب
ولم يبق للراجي سلامـــة دينه — سوى عزلة فيها الجليس كتاب
كتاب حـوى كل العلوم وكلمـــا — حواه من العلم الشريف صواب
فان رمت تاريخا رأيت عجائبا — ترى آدما اذ كـان وهو تراب
ولاقيت هابيلا قتيل شقيقـــه — يـواريـه لما أن أراه غـــراب
وتنظر نوحا وهو فى الفلك قد طغي — على الأرض . من ماءالسماءعباب
وان شئت كل الأنبياء وقومهم — وماقال كل منهموا وأجابوا
وجنات عدن حورها ونعيمـــها — ونارا بها للمشركين عذاب
فتلك لأرباب التقـاء وهـــذه — لكل شقي قد حواه عـقاب
وان ترد الوعظ الذى ان عقلته — فان دموع العين عنه جواب
تجده وماتهواه من كل مشرب — وللروح منه مطعم وشراب
وان رمت ابراز الأدلة في الذى — تريد فما تدعو اليه تجـاب
تدل على التوحيد فيه قواطـع — بها قطعت للملحدين رقاب
ومـا مطلـب الا وفيه دليـلـه — وليس عليه للذكـي حجاب
وفيه الدواء من كل داء فثق به — فوالله ماعنه ينوب كتـاب
يريك صراطا مستقيما وغيره — مفاوز جهل كلها وشعـــاب
يزيد على مر الجديدين جـــدة — فألفاظه مهما تلـوت عذاب
وآيـــاته فى كل حين طريـــة — وتبلغ أقصي العمر وهي كعاب
وفيه هدى للعالمين ورحمــــة — وفيـه علـــوم جمة وثواب "

اللهمم إجعلنا لكتابك من التالين ولك به من العاملين وبما صرفت فيه من الآيات منتفعين ، والي لذيذ خطابه مستمعين ، ولأوامره ونواهيه خاضعين وبالأعمال مخلصين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك ياأرحم الراحمين ، صلى الله علي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين آمين آمين

قضايا جنسية (١)

-" لاحياء في الحق " ومن الحق أن يعرف الرجل وتعرف المرأة بعض القضايا الجنسية لأن لهذه القضايا الأهمية البالغة فى إنجاح الحياة الزوجية والجهل بها قد يهدم الأسرة .

- شريعة الاسلام تعني بالتثقيف الجنسي هذه العناية ضرورية لتنظيم وتعديل شهوة البطن وشهوة الفرج من أجل الوصول الى طريق صحيح يؤدى الى قيام العمران وانطلاق الدعوة الى مداها .

- جهل الأزواج والزوجات بالنصوص الإسلامية التى تناولت العلاقة الجنسية بينهما في الكتاب والسنة هو سبب رئيسي من الأسباب المحركة للنزاعات الزوجية الدافعة الى الطلاق . أو اللجوء الى الحرام .

- المجتمع المتماسك المترابط يبدأ من بيت الزوجية ولن يكون هذا الترابط بالمودة والرحمة فى بيت الزوجية الا علي أساس من السكن النفسي والجسدى العميق . ولن يكون السكن وهناك جهل بما يهدم السكن ، وينسف بناؤه .

- حث النبي صلي الله عليه وسلم أصحابه وأمته على ملاعبة زوجاتهم ومضاحكتهم وكلامهم فى أمور العلاقة الجنسية قبل المباشرة ولم يجعله من اللهو المحرم ونهي أن يقع الرجل علي امرأته كما تقع البهيمة .

- الارواء العاطفي هو اللباس بين الزوجين فلا حرج علي زوجين أن يستمتعا بأجسادهما ويبث كل منهما الآخر عواطفه بالصورة التي يهواها .

- لقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم كثير التقبيل لنسائه وثبت أنه كان يمص لسان عائشة رضى الله عنها وأنه كان يضع فاه على موضع فم عائشة فيما تأكله من اللحم وفيما تشربه من الماء .

- اللباس المتبادل بين الزوجين هو مجموعة من التعبيرات العاطفية القولية والعملية ، ابتداء من الكلمة الى القبلة الى حرية النظر الى مايحب كل منهما من

الجسد ، الى التحسس ، الى الالتصاق الجسدى ، حتى المباشرة الجنسية فيكون كل منهما قد لبس صاحبه في متعة غامرة فتكون النتيجة سكون النفس والعقل والقلب والروح من كل الإضطرابات الجسدية والنفسية والعقلية

١) من أراد التفصيل والأدلة فليرجع الى كتاب " اللقاء بين الزوجين فى ضوء الكتاب والسنة لعبدالقادر أحمد عطا . وهذه النقاط تلخص مضمون الكتاب المذكور .

- لاشيء يهدد حب الزوج لزوجته قدر مايهدده امتداد عينيه الى ألوان الفتنه والجمال المعروضة للناظرين ، ولاشيء يقصر حب الزوج على زوجته وحدها قدر مايقصره حبس عينيه عن مفاتن كل أنثى غيرها ، وهو ماهدف اليه الاسلام من ضرب الحجاب على كل ماهو مثير فى تكوين المرأة . وبهذا بالحجاب صيانة للمرأة فى شبابها وعند تقدم العمر بها لأنها ان أغوت رجلا فى شبابها تأتي أخرى فى قابل الأيام لتغوى زوجها .

- ان هجر المرأة للبيت يقضي على المودة والرحمة ويحرم المجتمع من جهود نصفه الآخر التى لايستطيعها غيره ..... فعمل المرأة فى صورته الحاضرة حد من حريتها فى الاتنفراد بزوجها ، وعرضها لأسوأ ماعرفته البشرية من خلائق السوء والفجور ألا وهو الخيانة فى العرض .

- السرور يشيع من كيان الزوجة على الزوج عند الابتسامة العذبة ، وعند عنايتها بمظهرها فى ملبسها ونظافتها وزينتها ، وتجديد شكل ملابسها وتسريحة شعرها ولين حديثها وجمال مرحها مما يشكل حافزا للزوج على العودة الى زوجته سريعا بعد الانتهاء من عمله . لكن الخطر يكمن عندما تعتنى الزوجة بزينتها اذا أرادت الخروج من المنزل وتهمل الزينة أمام زوجها لاعتمادها وثقتها بحب زوجها لها وهى لاتدرى أن هذا الحب قد يتبخرويتلاشى اذا أهملت عنصر الزينة والنظافة فى بيتها ونفسها .

-" النظافة من الايمان " ولاشيء يهدد العلاقة الجنسية بالفشل الكامل قد

رائحة الفم ، وعفن اللثة والأسنان عند الزوجة والزوج معا والعلاج معروف : السواك ، معاجين الأسنان ، الملح ..

– عملية اللقاء الجنسي ليست نهاية المطاف فى أى زواج ناجح ، وإنما المقصود هو : خلوة يتم فيها إستمتاع كل من الجنسين بكل ما يستهويه في الآخر من السمات والصفات قبل اللقاء الجنسى الذى يحد من شدة الهياج عند الطرفين ، ولايحد من جوع الجسد الى الجسد ، والعاطفة للعاطفة ، والأنوثة للذكورة ، والذكورة للأنوثة ، فهو جوع دائم قبل اللقاء وبعده وفي كل حال من الأحوال لايسكته إلا السكن بين كل منهما والآخر . ولو كان المراد من إشباع الشبق الجنسي هو الجماع بذاته وحده لما شرع الإستمتاع بما دون الفرج من الحائض أثناء حيضها .

– من منطلق الصراحة في الدين ، وعدم الحياء في الحق ، والحفاظ على الأعراض من أن تجنح الى الحرام ، وعلي عيون النساء وقلوبهن أن تهفو الى غريب ، نقول : أن مفهوم السنة هو حرية استمتاع كل من الزوجين بالنظر الى عورة الآخر وتحسسها ، والعبث بها ، وكل مايؤدى الى تهيئة كل منهما للقاء جنسى ناجح يعقبه إشباع وإعفاف كاملان غير منقوصين .

– تجرد الزوجين من ملابسهما عند اللقاء الجنسى ، أو عند الخلوة بينهما دون لقاء مسألة تخضع للذوق ، ولاتعارضها السنة ولكن لايجامعها وهما مكشوفان بل يستتر هو وأهله بغطاء . وفى التجريد من الثياب فوائد منها سهولة التقليب يمينا وشمالا وإدخال السرور علي الزوجين بزيادة التمتع .

– الملاعبة والمداعبة بين الزوجين مقصودة من إجتماعهما على هذا الوجه الشرعى المبارك الذى فيه أجر لقوله صلى الله عليه وسلم : " فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك " متفق عليه وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الملاعبة تكون فى القبلة والكلام والقبلة لاتقتصر على الشفتين والوجه بحكم عمومها ، وعموم النصوص ، بل يمكن أن تتعداه الى أى موضع من الجسد

يكون للعاطفة نحوه اهتزاز وميل . ويأتي أثناء ذلك وبعده : الكلام الذى يتعلق بالعلاقة الجنسية أما الكلام فى شئون الحياة والمعيشة الزوجية وأسعار الخضار والفواكه فله وقت آخر .

- الحرية مكفولة للزوجين فى الشريعة الاسلامية فى استمتاع كل منهما بأى وضع جسدى يريده ويهواه من صاحبه مادام مكان اللقاء واحدا وهو الفرج في غير الحيض " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " البقرة ٢٢٣ . يعني مقبلات ومدبرات ومستلقيات فى موضع الولد .

- حجم الزوجة وطبيعة جسدها وذوقها ، وقدرة الزوج الصحية وذوقه ، هي الأمور التي تتحكم فى الوضع الذى يهواه الزوجان ويستطيعانه .

- صورة المرأة المسلمة فى حياتها الزوجية أن تكون شديدة الحياء في غيبة زوجها ، وأمامه اذا كان بالبيت غيرهما وهذا الحياء هو المطلوب فاذا خلا كل منهما بالآخر نزعت ثوب الحياء وخاصة عند الممارسة العملية للعلاقة الجنسية . فهى المرحلة التي يتحقق بها الإعفاف لكل من الزوجين ، وكسر شهواتهما أن تتطلع الى غير ما أحل الله لهما . ومن ثم كان لكل منهما أن ينطلق على سجيته ، وأى يروى ظمأه بالطريقة التي يهواها دون حرج ولاتحفظ .

- الثقافة الزوجية لاتعني شروط العقد والوليمة والخطبة والدعاء للعروسين وماأشبه ذلك من أحكام الفقه فحسب بل تعنى كذلك الثقافة الجنسية المقصودة من الزواج بالدرجة الأولى شريطة أن تكون هذه الثقافة في ضوء الكتاب والسنة - هذه الثقافة ضرورية لأن انعدامها يؤدى الى انعدام المودة والرحمة وتسبب الخلاف والشقاق والطلاق وانعدامها والجهل بها قد يؤدى الى شيوع البغاء وشيوع الأمراض النفسية الناتجة عن قلق الحياة الزوجية بين الأزواج ويسبب ذلك الى هرب الأزواج من بيوت الزوجية الى المقاهي والأندية الليلية والمسارح فتنحل الروابط الأسرية والتكافل الاجتماعي .

xx يمكن الرجوع كذلك الى كتاب قرة العيون بشرح نظم ابن يامون فى النكاح

الشرعى وآدابه لكنون الادريسي الحسني .

آيات للموقنين

الحمد لله الذى جعل التفكر في مصوغاته وسيلة لرسوخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين ، الذين استدلوا عليه سبحانه بصنعته فعلموه ، وتحققوا أنه لاإله الا هو فوحدوه ، وشاهدوا عظمته وجلاله فنزهوه .

لقد خلق سبحانه وتعالي العقول وكمل هداها بالوحى وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته والتفكر والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته " قل أنظروا ماذا في السماوات والأرض " يونس ١٠١ .

فلننظر الى آية من كتاب الله العظيم ولنحاول استجلاء واستخلاص العبر من خلال النظر في عجائب المصنوعات للوصول الى أعلى المعارف وأرقاها وهي معرفة الله سبحانه التي هى سبب السعادة والفوز بما وعد به عبادهمن الحسنى وزياده .

والآية الكريمة التي نريد النظر اليها هي قول الله تعالي " وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين " النحل ٦٦ .

هذه الآية من سورة مكية تعالج " السورة " موضوعات العقيدة الكبرى " الألوهية ، والوحي ، والبعث ، والنشور " والي جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية في ذلك العالم الفسيح في السماوات والأرض والبحار والجبال والسهول والوديان ، والماء الهاطل ، والنبات النامي ، والفلك التي تجرى في البحر، والنجوم التي يهتدى بها السالكون في ظلمات الليل ، الى آخر تلك المشاهد التي يراها الانسان في حياته ويدركها بسمعه وبصره ، وهى صورة حية مشاهدة دالة علي وحدانية الله جل وعلا ، وناطقة بآثار قدرته التى أبدع

بها الكائنات . (١) وبالعودة الى تفسير الآية السالفة نجد أن الله سبحانه يعلمنا أن لنا فى الأنعام – الإبل ، والبقر ، والضأن ، والماعز – عظة وعبرة يعتبر بها العقلاء ، ففى خلقها وتسخيرها دلالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته . فمن بعض الذى فى بطونها يسقينا الحليب الخالص واللبن النافع الذى يخرج من بين الروث والدم وهنا تكمن العبرة ونلمس الاعجاز فان الله سبحانه يخلق اللبن السائغ اللذيذ الذى يسهل مروره فى الحلق ، يخلقه وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لايبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولارائحة . فسبحان الله ماأعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل . (٢)
سبحان الله ! سبحان من خلق فسوى وقدر فهدى .... كيف يتكون اللبن الأبيض الحلو من بين فرث ودم فى باطن الحيوان ؟ وكيف يسرى كل الى موطنه اذا نضج الغذاء في المعدة بحيث ينصرف الدم الى العروق واللبن الى الضرع والبول الى المثانه ، والروث الى المخرج وكل منها لايشوب الآخر ولايمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به ؟! (٣) .
آلاف العبر يمكن استخلاصها من ثنايا هذه الآية الكريمة ولكننى أريد أن أقف بايجاز عند عبرة واحدة منها لعلها العبرة الرئيسية المقصودة .
إن العشب أخضر اللون والدم أحمر والفرث بني ومن بين هذه الألوان يخرج اللبن الأبيض الخالص السائغ للشاربين ! ولو أن انسانا قدم لضيفه كأسا من اللبن وعليه قطرات من الدم فإن النفس تعاف اللبن وتأباه وكذلك الحال لو وضع عليه شيء من الفرث . فكأن الله سبحانه وتعالي يقول لنا ويخاطب كل واحد منا بقوله:

---

(١) صفوة التفاسير ج ٧ ص ١٧

(٢) صفوة التفاسير ج ٧ ص ٣١

(٣) بتصرف عن مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثاني ص ٣٣٦

اذا كنت ياعبدى لاتقبل الا ماكان خالصا نقيا نظيفا من الطعام والشراب فأنا لا أقبل الا ماكان خالصا لوجهي من الأعمال لأنني أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا وأشرك معى فيه غيرى تركته لما أشرك (١) ....لأنني أمرت بالاخلاص " وماأمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين " البينة ٥ .

وللإنسان أعداء " النفس والدنيا والشيطان والهوى " والابتلاء يقتضى أن تخرج الأعمال خالصة من بين هؤلاء الأعداء لتكون مقبولة عند الله .

النفس والدنيا والشيطان والهوى كالفرث وكالدم ولابد من الجهاد والكفاح لانتاج أعمال خالصة وصافية صفاء اللبن بلاشوائب وبغير هذا لاخلاص والصفاء والنقاء يكون مصير الأعمال الضياع وإن كانت كالجبال " وقدمناالى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا " الفرقان ٢٣ .

فالنية معيار لتصحيح الأعمال فترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما (٢) . ولابد من أمرين هامين عظيمين أن يتوفرا في كل عمل وإلا لا يقبل : –

أولهما : أن يقصد به صاحبه وجه الله عز وجل .

ثانيهما : أن يكون موافقا لما شرعه الله تعالي في كتابه أو بينه رسوله عليه السلام فى سنته . فاذا إختل واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحا ولا مقبولا ويدل على هذه قوله تبارك وتعالى : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا " الكهف ١١٠ .

قال الجنيد رحمه الله : " الإخلاص سر بين الله وبين العبد ، لايعلمه ملك فيكتبه ، ولاشيطان فيفسده ، ولاهوى فيميله " وقيل : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق .

---

(١) اشارة لحديث مسلم " قال الله تعالى : أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه " .

(٢) من كلام الفضيل بن عياض رحمه الله .

"ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله "
وقيل : من شهد فى اخلاصه الإخلاص ، احتاج إخلاصه الى إخلاص (١) .

الصبر عند الصدمة الأولى

الصبر ضياء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الصبر المحبوب فى الشرع .... الصبر علي طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر على النائبات وأنواع المكاره فى الدنيا .

والصبر الذى يحمد عليه صاحبه ، ماكان عند مفاجأة المصيبة بخلاف مابعد ذلك فانه على الأيام ينسى فالزمن بلسم الجراح ودواء المصائب والرزايا .

هذا المعنى العظيم بينه النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يرويه أنس رضى الله عنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على إمرأة تبكى عند قبر فقال : " إتقى الله وإصبرى " فقالت : إليك عنى ، فإنك لم تصب بمصيبتى ، ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبى صلى الله عليه وسلم . فأتت باب النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجده عنده بوابين فقالت : لم أعرفك . فقال : " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " .

لقد دل هذا الحديث أن عدم الصبر ينافى التقوى وأفاد بأن زيارة النساء للقبور مكروهة لأنها مظنة لطلب البكاء ورفع الصوت ولجزع النساء وقلة صبرهن ومحل الكراهية إنْ لم يترتب على زيارتهن فتنة أو حرمة فاذا ترتب على الزيارة فتنة أو نواح أو حرام فإن الزيارة تحرم . أما زيارة قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فهى من أهم القربات وأفضل الطلبات وأربح المساعى .

والدليل على جواز زيارة القبور للنساء أن النبي صلى اله عليه وسلم قد حث المرأة على الصبر ولم ينهيها عن الزيارة لأنه لو كانت الزيارة حراما أو منكرا

---

(١) أنظر مدارج السالكين ج ٢ ص ٩٥ .

لنهاها النبي صلى الله عليه وسلم .
هذا الحديث كنز فلابد لكل امرأة أن تتعلمه وتعمل بنصيحة ووصية الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصبر والإحتساب لتنال عظيم الأجر والثواب .

المرأة الحكيمة الصابرة

هذه قصة امرأة ذات عقل راجح وذكاء وقاد وحكمة عظيمة وهكذا يجب أن تكون المرأة الصالحة ولنستمع الى أنس رضي الله عنه وهو يروى هذه القصة :-

" كان إبن لأبى طلحة رضى الله عنه يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي : فلما رجع أبو طلحة قال : مافعل إبني ؟ قالت أم سليم وهى أم الصبي : هو أسكن ماكان ، فقربت له العشاء فتعشي ، ثم أصاب منها - كان بينه وبينها مايكون بين الرجل وزوجته - فلما فرغ قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أبوطلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : " أعرستم الليلة ؟ " قال : نعم . قال : اللهم بارك لهما ، فولدت غلاما . فقال لى أبوطلحة : احمله حتى تأتي به النبى صلى الله عليه وسلم وبعث معه بتمرات . فقال : " أمعه شيء ؟ " قال : نعم ، تمرات ، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها ، ثم أخذها من فيه فجعلها فى فم الصبي ، ثم حنكه وسماه عبدالله . متفق عليه .
وفى رواية للبخارى : قال إبن عيينة : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأووا القرآن يعني من أولاد عبدالله المولود .
وفى رواية لمسلم : مات إبن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها : لاتحدثوا أبا طلحة بإبنه حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ماكانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها فقالت : يا أباطلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم
أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم - حاجتهم - ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت

: فاحتسب ابنك ، قال : فغضب ثم قال تركتني حتى اذا تلطخت ثم أخبرتنى بابني ، فانطلق حتى أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان ، فقال رسول الله صلى اللله عليه وسلم " بارك الله لكما فى ليلتكما " قال : فحملت ، ...."

هذه القصة نموذج تحتذى للنساء فى كل عصر ومصر في الصبر والإحتساب والحكمة والتلطف فى الأخبار عن وفاة أو مصيبة وفى ايثار المرأة الصالحة المؤمنة ارضاء زوجها على حزنه وهذا من الوفاء والحب من الزوجة لزوجها . فقد خففت وقع المصيبة على زوجها فتزينت له وأحسنت عشرته وأقامت الحجة عليه بتذكيره أن الوديعة لابد أن ترد الى أصحابها وأن الولد الذى قضى من الودائع التى عادت الى بارئها :

" وما المال و الاهلون الا ودائع ولابد يوما ان ترد الودائع "

إن أم سليم لم تلطم الخدود ولم تشق الجيوب ولم تعترض على قضاء الله وقدره فعوض الله صبرها وأكرمها لأن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فكانت النتيجة أن رزقها الله بولد تقى صالح ورزق الله هذا الولد الذى كان نتاج ليلة الصبر والإحتساب رزقه تسعة أولاد من القراء والحفاظ لكتاب الله تعالى . فالحسنة بعشر أمثالها .

ياليتنا رجالا ونساء نقرأ هذه الأحاديث المطهرة التي تحمل فى ثناياها كل كنوز الخير والحكمة والأسوة الحسنة فنعيش حياتنا فى صورتها الإسلامية المشرقة عوضا عن هذا التخبط الذى يلف كياننا ويهدم سعادتنا .

ولنا فى أم سليم المثال الذى يحتذى !

فهل نعتبر ونتأسى كي يرحل من عالمنا كل أسى ؟!

نموذج مغاير خاسر

على النقيض من المرأة الصابرة المحتسبة الراضية بقضاء الله المستلمة لقدره وأمره نجد المرأة الساخطة المعترضة على حكم الله وأحكامه سبحانه وتعالى .

لقد بينت الأحاديث الشريفة أن النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب " رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية " متفق عليه .

وفى الحديث المتفق عليه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة - التى ترفع صوتها بالندب والنياحة - ، والحالقة - التي تحلق رأسها عند المصيبة - ، والشاقة - التى تشق ثوبها " . كما بين صلى الله عليه وسلم أن النياحة على الميت لون من ألوان الكفر بقوله " اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت " رواه مسلم .

إعلمى - أختى المسلمة - أن الندب - وهو تعداد مااتصف به الميت من الطباع الحسنة كالقول " واسنداه " - حرام ويحرم الهز - وهو دفع الصدر باليد وهى مقبوضة - ويحرم النوح وهو رفع الصوت بالندب ويحرم الجزع بضرب الصدر أو شق الثوب أو نشر الشعر أو تسويد الوجه أو القاء الرماد على الرأس لأن هذه من أعمال الجاهلية وفيها الإعتراض على قضاء الله وقدره لقد عمت البلوى وزادت الشكوى من ظاهرة النياحة فى مجتمعنا المعاصر والسر فى ذلك أن الرجل أو الأخ أو الزوج أو الإبن لايعلمون البنات والأخوات والأزواج والأمهات العقوبة التى تترتب على النياحة وأجزم بأن ٩٩٪ من النساء فى زماننا هذا لم يسمعن بهذه الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين أن النياحة من الكبائر وأن النائحة تكسى فى النار بمادة سوداء قذرة رائحتها كريهة وتحاط بلباس من حديد مشتعل يضغط عليها بسبب عصيانها لله ورسوله " ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين "

النساء ١٤ . والإسلام دين الواقعية والوسطية - فحب التناهى شطط وخير الأمور الوسط - ومن الوسطية والإعتدال والواقعية فى ديننا الحنيف أنه يبيح البكاء على الميت لأن هطول الدمع أمر لايملكه الإنسان بشرط عدم رفع الصوت فقد بكى النبي صلي الله عليه وسلم علي ولده ابراهيم وقال : " إن العين تدمع والقلب يحزن ولانقول إلا مايرضى ربنا وإنا على فراقك ياابراهيم لمحزونون " رواه الشيخان ، " وبكي على قبر بنت له صلى الله عليه وسلم " رواه البخارى ، وزار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله " رواه مسلم .

وشرط البكاء أن يكون للرقة والعطف على الميت أو الخوف عليه من عقاب الله تعالى وأهوال يوم القيامة أما إذا كان البكاء للجزع وعدم التسليم للقضاء فإنه يحرم .

أختى المسلمة : إعلمى وتعلمى وعلمى هذه الأمور لأخواتك لكى تكسبى أجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين " فصلت ٣٣.

" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم × وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم " ٧١ - ٧٢ التوبة .
وفى الحديث القدسى : " يقول الله تعالى : مالعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة " رواه البخارى .

الموازين الإيمانية

لقد جاء الإسلام ليقلب الموازين الجاهلية العفنة ويحل محلها الموازين الإيمانية الطيبة فالله سبحانه لاينظر إلى أجسـامنا ولا إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلـوبنا (١) .

ونحن جميعا نعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عبدالله بن مسعود عندما ضحك الصحابة من دقة ساقيه ونحولهما قال : " لهما عند الله أثقل من جبل أحد " ولذلك فإن جواز السفر الى الجنة لايعتمد على ضخامة الجسد . :
" إنه ليأتي الرجل العظيم السمين لايزن عند الله جناح بعوضة " متفق عليه .

ونحن نعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم للصديق : " يأأبا بكر ، لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقدأغضبت ربك ! " والمقصودين من الحديث هم " سلمان وصهيب وبلال رضوان الله عليهم فالله يغضب لغضبهم .

ولقد طوت أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيان - طوت الفراش الطاهر - فراش النبي صلى الله عليه وسلم - في وجه والدها فقال لها - يابنية أراغبة بهذا الفراش عنى أم راغبة بى عن هذا الفراش ؟ " فقالت لوالدها إنك مشرك نجس ولايحل لك أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم !

هذا غيض من فيض وقليل من كثير حول الموازين الإيمانية فى الإسلام والذى أريد أن أتحدث عنه هو حب النساء للمظاهر وزخارف الدنيا وأعظم مايحز فى النفس أن يتقدم الشاب المسلم التقى النقي - الفقير فى جيبه الغني فى قلبه وإيمانه - لخطبة فتاة ما فتقف الأم حجر عثرة فى طريقه بحجة أنه من الفقراء فتحدث فى الأرض فتنة كما أخبر الحبيب المصطفى " اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فى الأرض فتنة وفساد عريض " .

---

(١) اشارة الى حديث مسلم " إن الله تعالى لاينظر إلى أجسامكم ....".

أيتها الأم : إسمعي قول الله "إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله " فالسعادة ليست في كثرة المال والذهب والمتاع والأشياء إنما السعادة في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وإليك القصة التالية التي يرويها سهل بن سعد رضي الله عنه :
" مر رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس : " مارأيك فى هذا ؟ " فقال : رجل من أشراف الناس : هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم مر رجل آخر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مارأيك فى هذا ؟ " فقال يارسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حرى إن خطب ألا ينكح ، وإن شفع ألا يشفع ، وإن قال ألا يسمع لقوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هذا خير من ملء الأرض مثل هذا " . متفق عليه .

الله أكبر ماأعظم قيمة المؤمن عند الله : " هذا الفقير خير من ملء الأرض من مثل ذلك ! " ..... إنها موازين الإيمان يعلمنا إياها من لاينطق عن الهوى .
إن العبرة بتقوى الإنسان لا بنسبه وشرفه فى قومه أو كثرة ماله " إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

إن الله يعلن الحرب على من يستهينون بالفقراء والمستورين من المؤمنين الصالحين فرب أشعث أغبر خير من ملء الأرض من الأثرياء وأصحاب المظاهر .
ياأولياء الأمور : إتقوا الله فى أبنائكم وبناتكم فقد حدثت الفتنة والفساد العريض فى مجتمعاتنا ولابد لنا من العودة الى الموازين الإيمانية إذا أردنا مجتمع النقاء

وحياة الطهر والعفاف .... إذا أردنا السعادة لأبنائنا وبناتنا فى الحياة وبعد الممات .

أختاه : إن العزة والرفعة باتباع الدين والعمل بكتاب رب العالمين يسمو الإنسان عند ربه ، ويحظى بالدرجات العالية " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " .

الإيثار

الإيثار خلق نبيل ينبع من النفوس الكريمة وثمرته الفلاح وقتل الشح الذى يهلك العبد .... " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " الحشر ٩ .

وأعظم مافى الإيثار أن المؤمن المتخلق بهذا الخلق يعطى ماهو بحاجة اليه ويقدم الشيء وهو يحبه " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا × إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولاشكورا " الإنسان ٧-٨ .

ومن أجمل القصص التى قرأتها فى هذا الباب القصة الموحية التالية :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إني مجهود - أصابنى الجهد والمشقة وسوء العيش والجوع - . فأرسل الى بعض نسائه ، فقالت : والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء ، ثم أرسل إلي أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " من يضيف هذه الليلة ؟ " فقال رجل من الأنصار : أنا يارسول الله . فانطلق به الى رحله - منزله - ،. فقال لإمرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية قال لإمرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبيانى . قال : فعلليهم بشيء

، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفىء السراج وأريه أنا نأكل . فقعدوا ، وأكل الضيف ، وباتا طاويين - جائعين - ، فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " لقد عجب (١) الله من صنيعكما بضيفكما الليلة "متفق عليه . زاد فى رواية : فنزلت هذه الآية : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " رواه مسلم .

ماأعظمه من إيثار ! فقد أثنى الله على الأنصارى وامرأته لأنهما أحسنا وأجملا وأكرما ضيفهما الفقير المجهود الذى طلب الإحسان من أكرم الخلق ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يجد عند أزواجه إلا الماء ..... أعظم الخلق وإمام الأنبياء ليس فى كل أبياته إلا الماء ونحن فى أبياتنا ألوان الأطعمة والأشربة ١١٠ونشكو الفقر صباح مساء .

ثم يعرض النبي الزاهد الكريم صلى الله عليه وسلم يعرض ضيفه على أصحابه فيكرمه ذلك الأنصارى - بالتعاون مع زوجته المؤمنة الكريمة - يجودان بما عندهما .... يقدمان ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أنفسهم وأولادهم فيرضى الله عن صنيعهما ويثيبهما وتتنزل الآيات الكريمة قرآنا يتلى مسجلا سيرتهما الطاهرة النقية .

أسأل نفسى ... أسألكم ... أسألكن :

أين نحن من هذا الكرم الذى لامثيل له فى حياتنا فكل واحد فينا يقول : أنا وبعدي الطوفان .

---

(١) المراد بالعجب من الله رضاه ، وقيل : مجازاته ، وقيل : تعظيمه

لقد أعجبت بكرم الإنصارى وإيثاره وشهامته وطيب نفسه ولكن الذى أعجبني أكثر وشد انتباهي أكبر هو طاعة زوجته له وإعانتها إياه علي الخير لأنها كريمة سخية نقية تقية .

أجزم لو أن مثل هذا الموقف يتكرر في زماننا لأحجم الرجال عن التبرع والتطوع باستضافة الفقير المجهود ولو حدث وتبرع أحدهم وتطوع باستضافته لخشي من زوجته أن تعنفه وتلومه وتوبخه ، وتقيم الدنيا ولا تقعدها ، متهمة إياه بالجهل والأريحية المبالغ فيها وقد تصرخ في وجهه وتقول له : لاشأن لي بما تصنع ... لن أتعاون معك ... نحن أولي من غيرنا".... الى آخر الإسطوانة التي سمعها معظم الأزواج من زوجاتهم وهم يحاولون مد يد العون بما يملكون ويزيد عن حاجاتهم إلى آبائهم وأمهاتهم فضلا عن أن يعطوا مايحتاجونه لأنفسهم . أقول هذا مع إيماني بأن طائفة من أمة محمد صلي الله عليه وسلم على الحق ظاهرة الى يوم الدين .

البشارة العظمى

حياة المسلم بما فيها من مسرة ومضرة كلها خير وأجر له عند الله والمؤمن الصادق يشكر الله تعالي في السراء ، ويصبر على الضراء فينال خير الدارين ، أما ناقص الإيمان فإنه يتضجر ويتسخط من المصيبة ، فيجتمع عليه نصيبها ووزر سخطه ، ولايعرف للنعمة قدرها ، فلايقوم بحقها ولايشكرها ، فتنقلب النعمة فى حقه نقمة .

إن " من يرد الله به خيرا يصب منه " رواه البخارى . أي يوجه إليه مصيبة إما في بدنه أو ماله أو محبوبه . " وإن الله تعالي إذا أحب قوما إبتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط " رواه الترمذى .

ومن أعظم الإبتلاء أن يبتلي الإنسان بفقد فلذات كبده ولكن الصبر والإحتساب والرضى بقضاء الله يحول المصيبة إلي نعمة وغنيمة لقوله تعالي " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين " البقرة ١٥٥ .

" وبشر الصابرين " جملة جميلة الوقع علي الروح والنفس والوجدان والجوارح وهاهي الأحاديث المطهرة تبين أن البشارة المقصودة هي البشارة بالجنة لمن يموت له أولاد صغار فيصبر ويحتسب ويرضي بقضاء الله وقدره :

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جاءت إمرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فإجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، قال : " اجتمعن يوم كذا وكذا " فاجتمعن ، فأتاهن النبى صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : " مامنكن من إمرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار " . فقالت إمرأة : واثنين ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " واثنين " . متفق عليه . وفي رواية أخرى " مامن مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث - الذنب - إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم " متفق عليه هذه الأحاديث تبين فضل من مات له أولاد صغار فصبر فإنه لعظم شفقته عليهم ورحمته بهم فإن الله يرحمه ويدخله الجنة بفضل رحمة الله لهؤلاء الصغار الذين يقفون فى استقبال آبائهم وأمهاتهم على باب الجنة ويشفعون فى آبائهم وأمهاتهم فيقبل الكريم سبحانه شفاعتهم . قال صلى الله عليه وسلم: " مامن مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يقفوا علي باب الجنة فيقولون : حتى تدخل آباؤنا ، فيقال لهم : أدخلوا الجنة أنتم وآباؤكم " رواه الطبراني فى الكبير باسناد حسين جيد .

إنه جزيل الثواب من الوهاب للصابرين يوفيهم أجرهم بغير حساب وينجيهم من

العذاب فإذا مات ولد العبد وقال عند المصاب " الحمد لله، إنا لله وإنا اليه راجعون " فإن الله جل في علاه يقول لملائكته " إبنوا لعبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد " رواه الترمذي وابن حبان وقال حديث حسن غريب .

أختي في الله : النصر في كل أمر يكون بالصبر والشكر ....

نسأل الله أن يرزقنا أجر الصابرين وثواب المخلصين .

انى رأيت وفى الايام تجربة   للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد فى أمر يؤمله   وإستصحب الصبر إلا فاز بالظفر(١)
إذا أبتليت فثق بالله وارض به   لا تأسن فإن الصانع الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته   فما ترى حيلة فيما قضى الله

أشد حياء من العذراء

من شمائل النبي " صلى الله عليه وسلم " العظيمة وكل شمائله عظيمة لأنه صاحب الخلق العظيم بشهادة الرب العظيم القائل في وصفه " وإنك لعلى خلق عظيم " من شمائله : " الحياء " فعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراءفي خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه " متفق عليه .

يحث هذا الحديث على التخلق بالحياء اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم لأن " الحياء لايأتي إلا بالخير " متفق عليه ولأن " الحياء من الإيمان " رواه البخارى ومسلم " والحياء شعبة من الإيمان " متفق عليه .

---

(١) تنسبه إلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

إن" من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه " (١) و " مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق اللسان ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، وحفظ الذمام للجار ، وحفظ الذمام للصاحب ، وقرى الضيف ، وأسهن الحياء " (٢) . والوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء .

وقال الخواص : إن العباد عملوا على أربع منازل : علي الخوف ، والرجاء ، والتعظيم ، والحياء ، فأرفعها منزلة الحياء ، لما أيقنوا أن الله يراهم علي كل حال . قالوا : سواء علينا رأيناه أو رآنا ، وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه " .

كل هذه الأحاديث الشريفة والأقوال الحكيمة تبين فضيلة الحياء الذى يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ويجب أن نعلم أن الحياء الذى ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعيا ، بل هو عجز ومهانة .

لكن الأمر الجميل العظيم يكمن فى تشبيه حياء المصطفى صلى الله عليه وسلم بحياء العذراء في خدرها ذلك لأن الحياء من الصفات الحميدة والأخلاق العظيمة للرجال وللنساء ولكن هذا التشبيه يدل على أن الحياء صفة ذاتية للأنثي ، ولذلك كانت قلته في النساء دليل قرب الساعة فمن علامات الساعة أن ينزع الحياء من النساء فتراه في الرجال أكثر وهنا نقف ونتأمل ونتساءل بحرقة وألم وحسره :

---

(١) ينسب هذا القول لعلي رضى الله عنه .

(٢) ينسب هذا القول لعائشة رضى الله عنها .

أين الحياء فى نساء عصر التقدم والتكنولوجيا ؟!

أين الحياء في هذا الزمن الذى ترى فيه الكاسيات العاريات على امتداد الشوارع وفى المكاتب والمدارس والمعاهد والجامعات والمصانع ؟!

أين الحياء في زمن خرجت فيه المرأة بلا ضرورة شرعية لتزاحم الرجال بالمناكب وتعمل معهم فى المكاتب وفي آخر الشهر تقبض الراتب لتسلمه الى " كوافير " يجيد تسريحة أوروبية بعد أن تركت زوجها وأبناءها لخادمة أجنبية لاتجيد طبخة إسلامية ولا لغة عربية ؟! .

ولايمكنني أن أتابع الأسئلة لتصل إلي الملايين ولكنني أريد التوقف لأقول للرجال وللنساء على حد سواء أن " الحياء والإيمان قرينان إذا رفع أحدهما رفع الآخر " فإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان وماقيمة حياة الإنسان بغير إيمان؟!

إن الحياء أصل الأخلاق الكريمة وكله خير فمن كثر حياؤه كثر خيره ومن قل حياؤه قل خيره أو إنعدم فيصنع حينها مايشاء حيث يقول صلى الله عليه وسلم " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فإصنع ماشئت " رواه البخاري وبعد : " اللهم إرزقنا حياء كحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ...... وكحياء عثمان الذى كانت الملائكة تستحي منه رضي الله عنه " .

" اللهم أنزل لباس الستر علي نساء المسلمين وبنات المسلمين وإكسهن حلة الحياء وحلة التقوى والدين وإنزع عنهن لباس الشرك والمشركين وإعصمهن من وساوس الشياطين برحمتك ياأرحم الراحمين " .

قدسية الأسرار

الأم المؤمنة تحسن تربية أبنائها على مكارم الأخلاق ومن هذه المكارم كتم السر وعدم إفشائه . فعن أنس رضي الله عنه قال : أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا فبعثني فى حاجة ، فأبطأت – تأخرت – على أمي . فلما جئت قالت : ماحبسك ؟ فقلت : بعثني رسول الله

صلى الله عليه وسلم لحاجة ، قالت : ماحاجته ؟ قلت : إنها سر .
قالت : لاتخبرن بسر رسول الله أحدا " رواه مسلم .

هذه وصية كريمة من أم كريمة لإبنها الكريم الخلوق الأمين .... إنها الوصية التي نحتاجها جميعا لأنها تحث على أدب إسلامى رفيع .
ومن جميل ماقيل فى هذا الباب " سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره وإعلم أن أمناء الأسرار ، أقل وجودا من أمناء الأحوال ، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار ، لأن احراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال ، وإحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ، ويشيعها كلام سابق ، وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال ، فإن الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ، ولايستطيع كتم السر وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب مالا يلحقه من حمل الأثقال ، فإذا أذاعه استراح قلبه ، وسكن خاطره ، وكإنما ألقى على نفسه حملا ثقيلا "(١)

وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ، ولو كتمه أمن من سطوته ..... وكان عمر رضى الله عنه يقول : ماأفشيت سرى إلى أحد قط فأفشاه ، فلمته إذ كان صدرى به أضيق " . قال الشاعر :

إذا المرء افشى سـره بلسـانه ... ولام عليه غيره فهو احمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع الصدر اضيق

وللقضية وجه آخر يرتبط بقدسية الحياة الزوجية ومايدور بين الرجل وأهله فقد

---

(١) على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ذهب النبي صلى الله عليه وسلم من أن ينشر أحدهما سر صاحبه فقال عليه السلام : " إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى إمرأته وتفضِي اليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه " رواه مسلم وأبوداود وغيرهما وفى حديث آخر : " عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال : لعل رجلا يقول مافعل بأهله ، ولعل إمرأة تخبر بمافعلت مع زوجها ، فأرم القوم – سكتوا من خوف – ، فقلت : إى والله يارسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ؟ قال: فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها – واقعها – ، والناس ينظرون ، رواه أحمد .

يبين صلى الله عليه وسلم ما للحياة الزوجية من قداسة وخصوصية ويحذر من خطورة إفشاء أسرارها وينهي الأزواج عن التحدث إلى الآخرين بما يدور بينهم لأن هذا الفعل من سوء الأدب ومن اللغو الذى يجر الى المهالك والردى .
إنها فرصة يستغلها إبليس ... فعندما يتحدث الرجل مثلا عن إتيانه زوجته ويفصل في إفشاء أسرار مايدور بينه وبين أهله فإن أبليس يوسوس للسامع بأن هناك فرقا كبيرا بين زوجته وزوجة المتحدث وحتى يصل إليها لابد من قتل زوجها أو على الأقل إغوائها والزنا بها والعكس صحيح أيضا فحين تتحدث الزوجة عما يدور بينها وبين زوجها فى الفراش فإن إبليس يهمس ويوسوس للمستمعة بأن هذا هو الزوج الناجح فتعمل على إغوائه وإغرائه لتحصل على المتعة التى وصفتها زوجته وكثيرا ماينجح الشيطان في هذا التزيين فتنهدم البيوت وتتقطع الأواصر وتسفك الدماء فمعظم النار من مستصغر الشرر .
إن للسر حرمة ومن حرمة السر أن لايقال أو يذاع وأعظم الأسرار التى تتعلق بالحياة الزوجية واللبيب من الإشارة يفهم !

الكذب المباح

الصدق يدخل صاحبه الجنة والكذب يدخل صاحبه النار .... الصدق ينجى ويدعو الى حسن الخاتمة ويزيد المسلم نورا وثباتا على الحق ويدل على فطرة سليمة وخليقة مستقيمة والكذب رأس المآثم لأنه يجر صاحبه إلى اقتراف الذنوب التي تحرمه من رحمة الله ومن رؤية جلاله .

يقول الشاعر فى ذم الكذب :

لا يكذب المرء الا من مهانته ... او فعله السـوء او من قلة الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة المرء في جد و في لعب

هذه حقائق لايختلف فيها إثنان ولكن الأمر الملفت للنظر أن الإسلام أباح الكذب فى الحرب ، الإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل إمرأته ، وحديث المرأة زوجها . قال صلى الله عليه وسلم : " ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، فينمي خيرا أو يقول خيرا " متفق عليه وفى رواية مسلم زيادة قالت - راوية الحديث - : ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقوله الناس إلافي ثلاث : تعنى الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل إمرأته ، وحديث المرأة زوجها " وهذه الجملة الأخيرة هي التى تهمني وأنا فى سياق الوصايا الى المرأة المسلمة وإن كانت الوصايا جميعها فى الواقع تهم الرجل المسلم بنفس القدر .

إن الإسلام يحرص كل الحرص على دوام العشرة الزوجية ولهذا أباح للرجل والمرأة الكذب (١)

(١) لايجوز كذب الرجل على زوجته أو الزوجة على زوجها فى أمور العقيدة

فى حديث أحدهما إلى صاحبه لعظم المصالح المترتبة على دوام واستمرار الحياة الزوجية لأن انهدامها يعنى دمار لأسرة فليقل الرجل لزوجيه علي سبيل المثال : " لا أحد أحب إلي منك " ولتقل هي له : " لا أحد أحب إلي منك " ولتستمر سفينة الأسرة في رحلتها إلى بر الأمان وشواطىء السلام ببركة الحرص على ديمومة العشرة يقذف الله المحبة فى القلوب وتتحول جملة المجاملة إلى جملة الواقع والحقيقة والحق والصدق .

تخيلوا وتأملوا أن رجلا يسأل زوجته أتحبه أم لا ؟ فيكون الجواب علي هذا السؤال : " لا " .... وتصوروا إمرأة تسأل زوجها نفس السؤال ويكون الجواب : " لا " ؟! .

إن " لا " هذه أشد علي الزوج أو الزوجة من طعنة برمح سام .... إنها تقتل بغير سلاح وتفتك بالنفس والوجدان وتحطم روح الإنسان فلماذا لايكون الجواب من الرجل لزوجته : أحبك حب الطيور السفر وحب رمال الصحاري المطر ... على سبيل التفاؤل بالخير وانقشاع الغيوم التى تكدر صفو الحياة والعشرة بين الرفيقين .

ولماذا لايكون الجواب من المرأة لزوجها : أحبك حب الأزاهر شمس الصباح وحب الليالي لضوء القمر لكى تجره بالكلمة الحانية إلي نقش إسمها ورسمها فى فؤاده وكل خلية من خلاياه ...

ياليتنا - رجالا ونساء - نفهم الإسلام ونفقه وصايا الحبيب المصطفي ونتأسي بسيرته ونسير علي دربه صلى الله عليه وسلم وبذلك ترفرف رايات السعادة في حياتنا ومجتمعاتنا فنصل إلى صدق القول ، صدق النية والإرادة ، وصدق

العزم ، وصدق الوفاء بالعزم ، وصدق العمل ، وصدق تحقيق مقامات الدين كلها فيكتبنا الله من الصديقين ومن أوليائه الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

التعاون المثمر

ماأحوجنا إلى لحظات الأنس بالله والقرب من رحمته والشكر له سبحانه على نعمه واغتنام أوقات إجابة الدعاء إليه والفوز بكراماته وعطاياه ....

هذه الحاجات يكرم الله بها أهل طاعته من المحسنين المتقين الذين وصفهم بقوله : " إن المتقين فى جنات وعيون * آخذين ماآتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * .

* كانوا قليلا من الليل مايهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم " الذاريات ١٥-١٩ .

إن صلاة التهجد سعادة ، وهى ثمرات دوحات نبتت فى قلوب المتقين فأزهرت صحة القلب وصحة البدن ونيل المطالب وقد عد النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل شرفا وسيادة وعلو نفس طماعة إلى كسب المعالى وجنى ثمار المحامد .إن صلاة التهجد فى ظل الحياة الزوجية لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجين وصية " رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ، وأيقظ إمرأته فإن أبت نضح - رش - فى وجهها الماء ، ورحم الله إمرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء " رواه أبوداوود والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

يدعو النبى صلى الله عليه وسلم لمن إستيقظ ليتهجد فيوقظ زوجته بالرحمة والخير والبركة والرضوان ، فاذا فتر الصديق أو كسل عن اليقظة أتى الآخر

بقليل من الماء ورشه على وجهه ايزول نومه ويبعد كسله ويملك شعوره ، ويتعاونان على طاعة الله . وقد دعا صلى الله عليه وسلم أيضا الزوجة إن إستيقظت للعبادة وأيقظت زوجها النائم للتهجد ... دعا لها بالرحمة والبركة وإن كسل الزوج عن القيام رشت على وجهه قطرات من الماء .

إنها التربية العظيمة من الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بالتعاونعلى طاعة المولى سبحانه ... هذاا التعاون الذى يثمر رضى الله ومحبة الله ورحمة الله ..... ويثمر الثقة والإطمئنان بين الزوجين فتحلو الحياة ويدوم العيش الرغيد وترفرف السعادة بين الزوجين المتآلفين فيظلهما الله في ظل عرشه لأنهما تحابا في الله ... إجتمعا عليه وتفرقا عليه .

هذه الصورة من صور التعاون المثمر لكل خير رحلت من عالمنا لأننا قليلا من الليل مانهجع ، ليس فى الطاعات ، وإنما فى مشاهدة الشاشات التي تبث المسلسلات فلا يستيقظ لصلاة الفجر فضلا عن الإستيقاظ للتهجد والتفكر في آيات الله والإستغفار والدعاء فى لحظات وساعات الإجابة .

سنقف لنسأل أمام الله عن أعمارنا وأوقاتنا وشبابنا فبماذا نجيب وقد أفنينا الأعمار فى الجلوس أمام الشاشات نشاهد المنكرات ونرى الرقصات ونسمع القينات ! لابد من لحظة تأمل نخلو بها إلي أنفسنا نحاسبها قبل أن نحاسب فى يوم يجعل الولدان شيبا ... في يوم تذهل فيه المرضعة عن إبنها الذى التقم ثديها وتضع كل ذات حمل حملها .لابد لنا - رجالا ونساء - من التوبة والعودة والإنابة إلى الله ... إلي أفياء رحمته ومغفرته وهو سبحانه يفرح (١) بتوبة عبده حين يتوب إليه أشد من فرح العبد يجد بعيره وقد أضله فى أرض فلاة (٢) .

---

(١) بمعنى يرضى سبحانه .

(٢) إشارة إلى حديث النبى صلى الله عليه وسلم المتفق عليه .

و" من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " رواه مسلم .
إنها رحمة الله تعالي بعبادة بقبول توبتهم ، وحبه إياهم :
" إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " .
نسأله سبحانه أن يسلكنا في سلك هؤلاء ويجعلنا منهم .

خرافات قاتلة

نعيش في عصر العلم والثقافة والتقدم ولكن مايزال بيننا بعض الأفكار التي يأباها ديننا الحنيف الذى دلنا على كل خير وحذرنا من كل شر ومن هذه الأفكار المجافية للصواب والتي تؤدى إلي الشقاء والضنك والكفر إتيان ه .
السحرة والكهان والعرافين والمنجمين بالزمل والحصى إضافة إلي مانراه بين الناس من تعليق الجمادات كالخرز الأزرق والأحذية الصغيرة على أنفسهم وممتلكاتهم إعتقادا منهم بأنها تدفع الضر أو تأتي بالخير ولنستعرض هذه الإعتقادات والأفعال ولنعرضها على الشرع لنرى قول الإسلام الفصل فى هذه القضايا المنتشرة فى طول البلاد وعرضها بين الرجال بصورة عامة وبين النساء بصورة خاصة ولنبدأ بالحديث عن السحر :
مذهب أهل السنة والجماعة أن السحر حقيقة بإذن الله لذكره في كتاب الله ، ولذكر الله أنه مما يكفر به وأنه يفرق به بين المرء وزوجه ، وأمر الله بالإستعاذه منه في سورة الفلق : " قل أعوذ برب الفلق * من شر ماخلق × ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات فى العقد * ومن شر حاسد إذاحسد " والنفاثات فى العقد : السواحر اللواتي يعقدن في سحرهن وينفثن فى عقدهن ، وهذا لايمكن إلا بما هو حقيقه . وأما التعامل بالسحر وتعاطيه فهو كفر بل ولايمكن أن يتأتى السحر إلا بعد الكفر بالله عز وجل ، ومن الكذب على رسول الله صلي الله عليه وسلم مايروى أنه قال : " تعلموا السحر ولاتعملوا به " فالسحر كفر ، وتعلمه حرام بأى حال وإن مايقع من السحرة من التفريق بين

الزوج وزوجته أو قلب أشياء إلي صور أخرى فى نظر البشر فهو واقع بإذن الله والسحر ليس مؤثرا بذاته نفعا أو ضرا وإنما يؤثر بقضاء الله وقدره لأن الخالق للخير والشر هو الله وحده والسحر من الشر ، ولكن هذه الأمور جعلها الله إبتلاء وإمتحانا لعباده حيث يقول تعالى : " ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلاتكفر " البقرة ١٠٢ .

وقد قرن النبى صلى الله عليه وسلم السحر مع الشرك وقتل النفس بقوله : " إجتنبوا السبع الموبقات - المهلكات - فقالوا يارسول الله ماهن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس ... الحديث " متفق عليه .

وقد كتب عمر رضى الله عنه أن إقتلوا كل ساحر وساحرة - كما في البخارى - وأما حل السحر وفكه فلايجوز أبدا بسحر مثله وإنما بالرقى القرآنية والمعوذات وآية الكرسى وسورة البقرة وماجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن السحر فى عصرنا الحاضر مايقوم به بعض من ينتسب إلى الإسلام ممن يضربون أجسادهم بالخناجر والسيوف والزجاج ويزعمون أنه لايؤثر فيهم ، وكل هذا بإسم الإسلام ، وبإسم الكرامة والولاية ويكفى أن نعلم أن الولى لايتحدث عن كرامته ولايظهرها وكذلك فإن الأمور الخارقة للعادة لاتدل على الصلاح بل قد يحصل للفجرة الكفرة شيء من هذا من باب الإستدراج

إ ن التهافت على أبواب السحرة يذهب العقل ، والمال ، والدين ، أما العقل فبمايخشوه به الدجالون من خرافات وأوهام وترهات لا تبقى فى الذهن قاعدة دينية أو منطقية سليمة ، بل كلها قابلة للنقد ، وماقيمة العقل إذا لم يعد يرتكز فى تفكيره الى قواعد الدين والمنطق وأما ذهاب المال فإن للمشعوذين أساليب عجيبة فى ابتزاز أموال البسطاء ممن يتهافت عليهم ، ومأأفلح إنسان تردد على

أبوابهم أو وقف على عتباتهم ، وأما ذهاب الدين فلأن السحر كفر كما أسلفنا . كل هذا ينطبق على الكهان والعرافين والمنجمين بالرمل والحصى فهم يسيرون فى سكة الكفر كالسحرة لزعمهم أنهم يعلمون الغيب " ولايعلم مافى غد إلا الله سبحانه وتعالى " رواه البخارى وحتى النبى صلى الله عليه وسلم لايعلم من الغيب إلا ما علمه الله . وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم : " من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "حديث صحيح رواه الحاكم وغيره . وقال : " من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " رواه مسلم . والعراف إسم للكاهن والمنجم والرمال والفتاح وأضرابهم ممن يدعون علم ماوقع ومالم يقع " .

وبعض الناس يقولون : إننا جربنا سؤال هؤلاء العرافين فوجدناهم يصدقون في حديثهم عن الأمور الغائبة والضالة " والجواب يأتى من رسول الله فعندما سئل عن الكهان قال : " إنهم ليسوا بشيء " قالوا : " يارسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقا فقال النبى صلى الله عليه وسلم " تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلط معها أكثر من مائة كذبة " رواه مسلم .

والكهنة والعرافون يتعاملون مع الشياطين يقينا فيما يخبرونن به عن الأمور المفقودة أو المستقبلية ، بل لايساعد الشيطان قرينة الادمى إلا إذا أصبح وليا له وقد قال تعالى " أفلا أنبئكم على من تنزل الشياطين × تنزل على كل أفاك أثيم " الشعراء ٢٢١ - ٢٢٢ . والله عز وجل قد سمي الكاهن أفاكا أثيما وذلك مبالغة فى وصفه بالكذب والفجور .
فحذار أيها المسلم / المسلمة من الذهاب إلى هؤلاء الأفاكين الكفرة الذين لايزيدون الإنسان إلا حيرة وخبالا ؟ والطريق القويم هو الإعتصام بالله وتسليم

الأمر إليه وبذل الجهد فيما ينفع مع الإتكال على الله تعالى .... الإتكال المقرون بالأخذ بالأسباب الشرعية الذى يقود إلي برد اليقين وحلاوة الإيمان وتفريج الكروب وجلاء الهموم والأحزان .

والحديث فى هذا الباب يطول فالسحر وإتيان الكهان والسحرة والعرافين والمنجمين وقراءة البروج والإيمان بها والتطير والتشاؤم من بعض الحيوانات كالبومة ومن بعض الأشخاص والذبح لغير الله كذبح الشاة على مقدمة السيارة أو علي درج العمارة الجديدة كل هذه الأعمال من بقايا الوثنية التى جاء الإسلام ليجتثها ويقضى عليها القضاء التام .

أخواتى المسلمات : لقد جر الإعتقاد بهذه الخرافات إلي دمار الكثير من الأسر وطلاق الكثير من الزوجات كما أدى إلي شيوع الفاحشة وقد حدثني من أثق فى دينه أن أحد هؤلاء الدجالين إدعي أنه يداوى العواقر - اللواتي لايلدن - وقد أتته إمرأة للعلاج فوسوس لها بأن زوجها سيتزوج عليها إن لم تنجب ولا خيار أمامها إلا أن يزنى بها فوافقت وحملت سفاحا من هذا الشيطان الرجيم ثم أكتشف الأمر ... فالحذر الحذر من هؤلاء الشياطين الفاسدين المفسدين

لك أجر

إن من كان سببا فى طاعة أو أعان عليها يحصل له من الأجر كما لو باشر الطاعة بنفسه .

عن إبن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى ركبا بالروحاء فقال : " من القوم ؟ " قالوا : المسلمون . فقالوا : من أنت ؟ قال : " رسول الله " : فرفعت إليه إمرأة صبيا فقالت : إلهذا حج ؟ قال : " نعم ، ولك أجر " رواه مسلم فهذه الأم الحريصة على أن تسأل عن أمور دينها كانت

السبب في بيان حكم شرعي مفاده أن حج الصبي وهو من دون سن البلوغ - جائز وصحيح ويؤجر عليه كما تؤجر أمه ويؤجر والده لإصطحابهما إياه فى رحلة الخير والبركة ، ولكن لايسقط عنه حجة الإسلام بعد البلوغ .

إن إصطحاب الصبيان في رحلة كرحلة الحج يكون له أعمق الأثر فى نفوسهم وهم يشاهدون الكعبة المشرفة والبيت الحرام والمسجد النبوى فيقوى الإيمان فى نفوسهم ويتعاظم ويزداد وهم يشاهدون مواطن ذكريات الإيمان والتضحية والإخلاص لله فينشأ الجيل الصالح والشباب الذى ينشأ في طاعة الله وهذا من الأعمال الصالحة التى لاينقطع ثوابها وأجرها بالموت كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم : " إذا مات إبن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم وغيره .

هذه الرحلات الإيمانية تكون السبب فى الولد الصالح الذى يضيف بصلاحه الحسنات إلى سجلات والديه فترتفع منزلتهما عند الله بفضل دعاء واستغفار ولدهما لهما وبسبب صلاحه وتقواه وطاعته لمولاه .
أختي المؤمنة: إصطحبى أولادك فى رحلة التقوى والخير ليكونوا كنوزا من نور لك ولوالدهم ستر من النار تربية البنات التربية الإسلامية ورعايتهن وتأديبهن والحوب عليهن من أعظم الأسباب الجالبة لحب الله ورضاه وبالتالى إلى الفوز بجنات النعيم والمقام الكريم .

ومن العجيب أن الأمهات أنفسهن يكرهن ولادة البنات وتقرأ الحزن فى عيونهن وترى السواد على وجوههن حين تعلم إحداهن بأن فلانه قد رزقت بمولودة .
إن البنات هن الحجاب والستر من النار لمن أحسن تربيتهن : " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين " وضم أصابعه . رواه

مسلم . فالعناية بالبنات تربية وتهذيبا وتغذية وتوجيها سبب لدخول الوالدين الجنة وعلو منزلتهما فيها .

وقال صلى الله عليه وسلم : " من إبتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار " فالذى يختبره الله ويبتليه بشيء من أحوال البنات فيقوم بواجب التربية والرعاية فإن الله يجبه عن النار وقد عبر النبي عن تربية البنات بالإبتلاء لأن بعض الناس إن لم يكن أكثرهم يكرهون ولادة البنات وهذا الكره بلا حق بقية من بقايا الجاهلية فجاء الإسلام فرد الأمر إلى نصابه وجعل حسن تربية البنات والإنفاق عليهن سببا لدخول الجنة والنجاة من النار ولنستمع إلي عائشة رضي الله عنها وهي تقص علينا هذه القصة الجميلة قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فإستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرت التي صنعت لرسول الله ، فقال : " إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار " رواه مسلم . ماأعظم رحمة الأمهات المؤمنات بأولادهن وماأعظم أجر هذه الرحمة فهل نسير على هذا الدرب المؤدى إلى أبواب الجنة حيث النعيم المقيم والعيش السليم ؟! .

الرفق بالحيوان

" الراحمون يرحمهم الرحمان " ومن الرحمة أن نرفق بالحيوانات وقد بينت الأحاديث النبوية المطهرة أن الرفق بالحيوان قديكون السبب في الفوز بالجنة : " بينما رجل يمشي بطريق إذ إشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خنه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله تعالي له فغفر له ، قالوا يارسول الله : وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر "

متفق عليه وفى رواية للبخارى : " فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة " ، إن الإحسان إلى كل مخلوق ذى حياة من أعمال الخير التى يكافىء الله عز وجل عليها بالثواب العظيم وتكون سبب المغفرة والرحمة والرضوان من الحنان المنان.

أما القسوة علي الحيوان فتدخل النار فقد " عذبت إمرأة في هرة حبستها ، حتى ماتت ، فدخلت فيها - بسببها - النار ، لاهى أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولاهى تركتها تأكل من خشاش - هوام وحشرات - الأرض " متفق عليه .

لقد فعلت هذه المرأة القاسية كبيرة من الكبائر أوردتها النار لأن الإسلام دين الرحمة وهذا العمل الشنيع يتنافى مع مبادىء الإسلام الذى هو دين الرحمة العامة بكل المخلوقات .

لقد حرم الشرع الشريف المكث طويلا على ظهور الحيوانات وحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال وحرم إرهاقه بالعمل فوق مايحتمل ولقد حن الجمل وذرفت عيناه حين رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رسول الله ومسح دموعه ودعا صاحبه وقال له : أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه " رواه أحمد .

كما حرم إتخاذه هدفا لتعليم الإصابة ونهي عن التحريش بين الحيوانات ، ووسمها فى وجوهها بالكي والنار . أما إذا كان الحيوان مما يؤكل ، فإن الرحمة به أن تحد الشفرة ، ويسقى ، ويراح بعد الذبح قبل السلخ ......وعلى ضوء هذه التعاليم قرر الفقهاء المسلمون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه ، فإن إمتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه ، أو تسييبه إلي مكان يجد فيه رزقه ومأمنه ، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل (١) ....

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب « من روائع حضارتنا » للدكتور السباعى .

هذه هى روعة الحضارة الإسلامية ونحن في مسيس الحاجة إلي أن نتعلم هذه الأمور حتى لا نتغنى بالحضارة الغربية الساقطة فالحضارة كل الحضارة في شريعتنا وديننا الذى تنكبنا طريقه ولم نسر على هداه .

أيها الآباء والأمهات : علموا هذه المعاني السامية لأبنائكم ليكتسبوا خلق الرحمة والرفق واللين في التعامل مع كل موجودات الكون الذى سخره الله لنا . فإذا تعلمنا الرحمة والرفق بالحيوانات والنباتات ولدت الرحمة فيما بيننا فيرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا فننال رحمة الله لأن " من لايرحم الناس لايرحمه الله " متفق عليه .

فالزانية رحمها الله وغفر لها لأنها سقت كلبا كما جاء فى الحديث الصحيح والمرأة المسلمة دخلت النار بسبب القسوة على الهرة فكيف يكون عظم الثواب من الله إذا كانت الرحمة لأكرم المخلوقات وهو الإنسان وكيف يكون حجم وشدة العذاب من الله إذا كانت القسوة بعبد من عبيد الله ؟! .

لعنتها الملائكة .

يجب علي الزوجة طاعة زوجها إذا دعاها إليه ولم يكن بها عذر وإمتناعها عن ذلك كبيرة تستوجب سخط الله عليها ولعنات ملائكته : قال صلي الله عليه وسلم :

" إذا دعا الرجل إمرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح " متفق عليه ، وفى رواية لهما : " إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح " ، وفى رواية : " والذى نفسى بيده ، مامن رجل يدعو إمرأته إلي فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها " .

هذه الأحاديث الشريفة تدل على تحريم إمتناع الزوجة من فراش زوجها لغير عذر شرعى وليس الحيض بعذر في الإمتناع لأن له الحق في الإستمتاع بها فوق الإزار فيما فوق السرة وتحت الركبة . والأحاديث تدل أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والإستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش.

فالمرأة التى تفهم حقوق الزوجية تلبي طلب زوجها مهما كانت في عمل لأن تلبية زوجها أولى .... قال صلي الله عليه وسلم : " إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت علي التنور - المكان المحمي الذى يخبز فيه - " رواه الترمذى والنسائي.

إن هذه القضية في غاية الأهمية لأنها تشكل الحصن المنيع الذى يحمي الزوجة أولا ثم الزوج ثانيا لأن الزوج حين تمتنع زوجته من فراشه فإنها تمهد الطريق لإبليس كى يوسوس له باشباع غريزته عن طريق الحرام ولهذا شدد الإسلام النكير عليها إن هى هجرت فراش زوجها دون عذر شرعي .

وفى هذا الباب ننوه إلي أنه يحرم صوم المرأة تطوعا وزوجها حاضر إلا بإذنه لخبر الصحيحين : " لايحل لإمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه " لأن حق الزوج فرض فلايجوز تركه لنفل . وعلم الزوجة برضى زوجها كإذنه ولكن إذاأراد التمتع بها تمتع وفسد صيامها .

هذا هو الإسلام .... دين الصراحة والوضوح والمنطق .... الدين الذى لايسمح بظهور المشاكل ليعالجها بل يضع الحصون المنيعة التي تكفل السلامة والصحة والعافية وتمنع الأمراض من الظهور في المجتمع الإسلامي .

إن الجهل بهذه الأحكام يجعل الحياة جحيما لايحتمل ولا يطاق .....
إن الجهل بهذه القضايا الحساسة الدقيقة هو السبب في هدم كثير من البيوت على رؤوس أصحابها .... فهل الخلل في الإسلام أم أن الخلل فينا ؟!

الإسلام دين الكمال والجمال والبهاء والجلال والشمول ، والخلل أننا نجهل ديننا ... ولأننا نجهله نعاديه ونحن بذلك إنما نعادى أنفسنا ونحارب نواتنا . ولاعذر لنا أننا لانعرف من الدين إلا إسمه ومن القرآن إلا رسمه .... لاعذر لنا لأن كتابا واحدا " كرياض الصالحين للإمام النووى " يحوى كل هذه الكنوز ولكن شبابنا إنشغلوا بكرة القدم وإنشغلت فتياتنا بالأزياء والغناء والموضة والصور المتحركة وكتب فن الطبخ والنفخ وأنواع تسريحات الشعر وأصناف علب المكياج فكان الحصاد : الشقاء والبؤس والخيبة والخسران والعار والدمار والشنار والنار .
فهل ندرك أننا نتقدم إلى الوراء ونصعد إلى الهاوية ؟
إذا أدركنا ذلك سهل علينا الرجوع إلى الحق والصعود إلى قمم المجد : " إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " الرعد ١١ .

خصلة الأبراء

الصدقة سبب زيادة الرزق ونصر الله وعنايته بالمتصدق وسبب البركة والنماء وجلب الوئام والمحبة بين الناس وسبب تكفير الخطايا وغفران الذنوب ولهذا

جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالحث عليها والأمر بها والترغيب فيها فمن الآيات قوله تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاه ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم " التوبة ٧٢ .

ومن الأحاديث التي تحث النساء على الصدقة قوله عليه السام : " يانساء المسلمات ، لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرش شاة - عظم قليل اللحم - " متفق عليه . وعن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله : " لاتوكي - تمنعي مافى يدك - فيؤكي الله عليك " رواه البخارى .

ويحث النبى صلى الله عليه وسلم النساء على الصدقة والإستغفار ويحذرهن من الأعمال والأفعال والأقوال التي جعلتهن أكثر أهل النار فقال : " يامعشر النساء تصدقن ، وإكثرن من الإستغفار ؛ فإنى رأيتكن أكثرأهل النار " قالت إمرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟ قال : " تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير - تجحدن حق الزوج - ، مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن " . قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : شهادة إمرأتين بشهادة رجل ، وتمكث الأيام لاتصلي " رواه مسلم .

يقول الإمام النووى : " وأما أحكام الحديث ففيه جمل من العلوم منها الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الإستغفار وسائر الطاعات وفيه أن الحسنات يذهبن السيئات كما قال عز وجل وفيه أن كفران العشير والإحسان من الكبائر فإن التوعد بالنار من علامة كون المعصية كبيرة وفيه أن اللعن أيضا من المعاصي الشديدة القبح وليس فيه أنه كبيرة فإنه صلى الله عليه وسلم قال : " تكثرن اللعن ، والصغيرة إذا كثرت صارت كبيرة .... " (١) .

---

(١) صحيح مسلم بشـ ح النووى ٢/٦٥ - ٦٧ .

والذى أريد أن أخلص إليه من هذه الأحاديث التى تحث النساء على الصدقة وتحذرهن من غضب الله وعذابه وتحضهن على الإستغفار إنما تدل على عناية الإسلام بالمرأة وتبصيرها بمواطن الضعف كي تتلافاها وبمواطن القوة كي تتمسك بها .

ولقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن النساء أكثر أهل النار ليزرع في قلوبهن مخافة الله فيقبلن على الأعمال الصالحة ليحفظن أنفسهن من نار حرها شديد وقعرها بعيد وماؤها صديد وأغلالها حديد ومن بين هذه الأعمال الصالحة الصدقة ولو بشق تمرة لأن " من تصدق بعدل - مقدار - تمرة من كسب طيب - حلال - ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه - كناية عن قبول الصدقة - ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل " متفق عليه .

هذه الوصفات والوصيا والنصائح النبوية نحتاجها فى كل عصر ومصر .... فى كل زمان ومكان لنتغلب على الشح والبخل الذى يؤدى إلى الهلاك .

وعلى المرأة أن لاتنخدع بمن يحاولون تحريف أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معانيها ومقاصدها وعليها أن تسأل العلماء فيما يشكل عليها فهمه من معانى أحاديث الحبيب المصطفى الذى أوصى بالنساء خيرا فقال : " استوصوا بالنساء خيرا .... الحديث " متفق عليه . وقال " لايفرك - يبغض - مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر " رواه مسلم .... وقال : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم " رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

درء المفاسد

قد تهدم المرأة بيتها إذا لم تحفظ لسانها ومن حفظ اللسان أن لاتحدث المرأة زوجها عن إمرأة أخرى وتصف محاسنها له ..... قال صلي الله عليه وسلم : " لاتباشر – تنظر أو تلمس – المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها " متفق عليه .

فهذا الحديث فيه وصية ونصيحة تحفظ كيان الأسرة وذلك بتحريم وصف المرأة لرجل أجنبي عنها ، لأن الوصف في حكم النظر والمشاهدة . فإذا وصفت المرأة لزوجها إمرأة أخرى فإنه يخشى أن تعجب الموصوف له بالموصوفة فيتعلق قلبه بها فيقع في الفتنة وقد يطلق زوجته التي حملت إليه ونقلت تلك الأخبار فتكون الجانية على نفسها وفي ذلك من المفاسد مالاتحمد عقباه .

ولابد من التنويه هنا أن المسلم إذا قصد الزواج بفتاة ما فإنه يجوز له النظر إلى وجهها وكفيها ليعرف جمالها وخصوبة بدنها وإن لم يتيسر له ذلك بعث إمرأة تتأملها وتصفها له ووقت النظر بعد العزم على النكاح وقبل الخطبة لئلا يتركها بعد الخطبة فيؤذيها (١) .

أختي المسلمة : تورعي عن الكشف عن مفاتنك وحسنك وزينتك أمام النساء اللواتي لايتورعن في ذكر محاسنك للرجال حتى تسلمي من الأذى والله يحفظك ويرعاك .

---

(١) يراجع كتابنا أسئلة النساء وأجوبة العلماء في باب النكاح .

وإحذرى كل الحذرمن صاحبات السوء أو على الأصح قرينات السوء اللواتى لايهمهن الستر وماأعظم نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم : " لاتصاحب إلا مؤمنا " رواه أبوداوود .... وقوله صلى الله عليه وسلم : " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير . فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة " متفق عليه .

الحياة الدنيا وزينتها

من المعلوم أن المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها لأن بيت الزوجية مملكة الرجل مليكها والمرأة ملكةً فيها والأطفال هم الرعية ولابد من التعاون بين جميع الأطراف ليسود الأمن والأمان هذه المملكة الجميلة الرائعة .

ومن المعلوم أن الله تعالى قد أوجب على الزوج الإنفاق على زوجته وتشمل النفقة : المأكل ، والملبس ، والمسكن ويكون الإنفاق على قدر إستطاعة الزوج " لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ماآتاها سيجعل الله بعد العسر يسرا " الطلاق ٧ .

ولكن الزوجة تصر على مطالبة الزوج بأشياء تشعر هى فى قرارة نفسها أنها ليست من النفقة الواجبة عليه ، أو تشعر بأنه غير مقتدر ماديا على إجابتها وقد تستمر فى اصرارها حتى يحصل الفراق والطلاق ، أو ينفذ طلبها بأى وجه سواء من الحلال أو الحرام .

إن الباعث على هذا الصنيع هو حب الفخر والتباهى أمام الغير أو حب المحاكاة والتقليد أو حب إتباع الموضة فى الملابس والأثاث أو الإجتهاد فى افناء مال الزوج لئلا يفكر فى الزواج بأخرى وجميع هذه البواعث من وساوس الشيطان

لأن الزوجة تكبر في عين زوجها ويعظم حبه لها حين تصبر معه على شظف العيش وحين تحرص على أمواله أن تنفق فيما لافائدة منه .

وحينما خير النبي صلي الله عليه وسلم نساءه في آية التخيير : " ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وإسرحكن سراحا جميلا @ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما " الأحزاب ٢٨ -٢٩ .... حين خيرهن وبين أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة فإنهن جميعا إخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وآثرن نعيم الآخرة الباقي علي نعيم الدنيا الفاني وزخارفها الزائلة ، رضي الله عنهن .

ولابد من ايراد بعض الأحاديث التي توضح حال بيت النبوة ، وماكانت عليه نساء النبي صلى الله عليه وسلم من الزهد والصبر والقناعة والتقوى والورع .... تقول عائشة " والله ياإبن أختي ، إن كنا ننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال : ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلي الله عليه وسلم نار ! قلت : ياخالة ، فما كان يعيشكم ؟ قال : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منايح (١) ، وكانوا يرسلون إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا " متفق عليه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " ماشبع أهل محمد صلي الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض " متفق عليه .

---

(١) جمع منيحة ، وهى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها غيره ليشرب لبنها ثم يردها إذا إنقطع لبنها

وقالت : " كان فراش رسول الله صلي الله عليه وسلم من أدم - جلد - حشوه ليف " رواه البخارى

هذه الأحاديث تبين أن عيش رسول الله صلي الله عليه وسلم وأهله كان علي ثلاثة أصناف إن وجدت : " التمر ، الماء ، اللبن " ..... أو خبز الشعير وأما الأثاث من جلد محشو بالليف ونتساءل : أى نفس الآن تعيش علي ذلك وترضى أن يمر عليها أيام وليال علي تمر وماء أو إنتظار هدية الجار من اللبن

إنه رسول الله صلي الله عليه وسلم الذى رغب عن متاع الدنيا وزهد فيها تطوعا فقد راودته الجبال الشم عن ذهب فأباها وأراها أيما شمم وإختار ماعند الله وجد فى العبادة ليل نهار حتي ورمت قدماه ولسانه لايفتر لحظة عن ذكر الله .

وقد شاركت أمهات المؤمنين خير نساء الدنيا شاركن النبى صلى الله عليه وسلم الحياة بحلوها ومرها ليكن مصابيح الهدى لكل المؤمنات الصابرات القانتات . فهل نسير علي نفس الدرب فنفوز بحب الله ورحمة الله ورضوان الله

زينة ولكن !

- علي المرأة أن تتزين لزوجها الزينة التي أباحها الشرع كالتحلي بالذهب والفضة كلبس العقد ، القرط ، الحلق ، الأساور .... إلخ ولكن لايجوز للمرأة المسلمة أن تمكن الصانغ من أن يمسها ليقيس لها حجم السوار أو الخاتم .... قال صلى الله عليه وسلم : " لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس إمرأة لاتحل له " رواه الطبراني والبيهقى .

أما غير الملبوس من الذهب أو الفضة كالمرود والأواني مثل الصحون والملاعق .... إلخ فلايجوز للمرأة إستعماله وهو حرام ولايجوز إتخاذه للزينة كوضعه على الطاولة أو المنضدة .

– يجوز للمرأة إستعمال الحناء ، ويحرم إستعماله إذا قصدت به التبرج . ولايجوز للمرأة أن تسمح لغيرها أن تعمل لها الحناء في فخذيها وإن كانت عروسا لأنه لايجوز لها شرعا أن تكشف أمام النساء المسلمات إلا وجهها وكفيها وأطرافها فقط . أما الوضوء في حق من خضبت يديها أو رجليها بالحناء فصحيح وكذلك الغسل من الجنابة لأن الحناء ليس حائلا كثيفا .

– يجوز للمرأة أت تستعمل الكحل فى عينيها زينة لزوجها ولكن يحرم إستعمالها للكحل بقصد التبرج .

– يجوز للمرأة إستعمال البخور والعطر في المنزل وللزوج فقط ويحرم عليها الخروج من بيتها وعليها رائحة البخور والعطر : قال صلى الله عليه وسلم : " أيما إمرأة إستعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحـــها فهي زانية ، وكل عين زانية " .

– يجوز للمرأة صبغ شعرها كزينة لزوجها [" رواه الحاكم "] مع الكراهة ويحرم صبغ الشعر للغش كإيهام الخاطب أنها صغيرة السن كما يحرم إذا قصدت به التبرج والظهور أمام الأجانب .

– ومن أنواع الزينة الحديثة التى تفعلها نساء العصر الحديث ما يسمى قلم الحاجب الذى تمر به علي حاجبها فيبدو شعر حاجبها أسودا غزيرا وهذا الفعل حرام بقصد غش الخاطب أو إذا فعلته كزينة عند خروجها ، أو عند رؤية الرجال الأجانب لها ويجب أن تعلم المرأة أم مادة القلم كثيفة تمنع وصول الماء إلى البشرة فإن توضأت للصلاة أو إغتسلت للجنابة وفى حاجبها شيء من هذه المادة فالوضوء والغسل باطلان فتكون الصلاة باطلة .

– الكثير من فتيات هذا العصر يعتقدن أن تطويل أظافر اليد من الزينة ولكن

النبى صلي الله عليه وسلم يبين أن قص الأظافر من خصال الفطرة أي من سنن الأنبياء وإذا طال الظفر ومنع وصول الماء إلي مقدمة الأصابع - خاصة إذا إجتمعت تحته الأوساخ - فإن الوضوء أو الغسل من الجنابة أو الحيض يكونباطلا . وكذلك تقوم بعض النساء بطلاء أظافرهن بالمناكير والتزين بذلك للزوج جائز وتركه أولى علاوة علي أن الوضوء والغسل يكونان باطلان بوجود المناكير على الأظافر وعلي المرأة إذا أرادت الوضوء أو الغسل أن تزيله في كل مرة من مرات الوضوء والغسل والإعتقاد السائد عند كثير من الفتيات بأن من توضأت ثم إستعملت المناكير " فإن وضوءها يكون صحيحا في المرات القادمة إعتقاد خاطيء وغير صحيح " (١) .

الإسلام يريد من المرأة أن تتزين لزوجها فى الحدود الشرعية التي تزيد الألفة والمحبة بينها وبين زوجها ولكن المرأة إذا خالفت الشرع لترضي زوجها فإن الله يسخط عليها ويسخط زوجها عليها وهذه قضية تحتاج إلي تأمل عميق من الرجال والنساء على حد سواء ! .

من الموبقات من عادة النساء إذا إجتمعن أن يذكر بعضهن بعضا وهنا ينتهز إبليس الفرصة فيحث النساء علي قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وهذا الصنيع من الموبقات المهلكات ولذا أحببت أن أنبه أخواتي إلي ذلك فقد عد النبى هذا من الموبقات المهلكة وورد أن قذف المحصنة - إتهامها بالفاحشة والزنا - يهدم عمل مائة سنة .

ولننتبه إلى كلمة الغافلات أى الطاهرات العفيفات المستترات البعيدات عن السوء وعن الإختلاط . أما المتهتكات السافرات العاريات المجاهرات بالمعاصى فإنهن قد عرضن أنفسهن لغضب الله وسخطه وذم الناس لهن .

---

(١) لمزيد من التفاصيل فى هذا المجال أنصح بالعودة إلى كتاب " أدب المرأة المسلمة " / عبده غالب . وكتابنا أسئلة النساء وأجوبة الفقهاء بالإشتراك مع الشيخ حمزة الفقير .

وصية ثمينة

قال أب لإبنته قبل زفافها إلى زوجها : " يابنية إن النساء أحق بأدبك مني ولكن لابد لي من تأديبك - نصحك وتعليمك - : كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا وكوني كما قلت لأمك :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى فيأباك قلبي والقلوب تقلب
فرني رأيت الحب في القلب والأذى إذا إجتمعا لم يلبث الحب يذهب

هذه الكلمات من أثمن الكنوز التي يحتاجها الرجال والنساء في رحلة الحياة ..... هذه الرحلة القصيرة التي نحتاج فيها إلى التسامح والعفو وكضم الغيظ لنكون من المحسنين الذين يحبهم الله ويرفع منازلهم إلى أعلى عليين .

إمرأة مجاهدة

هاهي أم عمارة رضي الله عنها تروي قصة جهادها لإعلاء كلمة الله ..... تحدث عن جهادها في يوم أحد :

" خرجت أول النهار ، وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء فإنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والريح والدولة للمسلمين ... فلما إنهزم المسلمون إنحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس . حتى خلصت الجراح إلي .

قالت أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : إبن قمينة أقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل يقول دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فإعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأنا ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان . وبقيت أم عماره تقاتل حتى جرح ولدها وصار دمه يسيل ، وهي منشغله بالدفاع عن النبى عليه السلام حتى صاح رسول الله على ولدها وأعصب جرحك فتنبهت أم عمارة إلى ولدها وأخرجت عصائب كانت أعدتها للجراح فربطت جرح ولدها وقالت : بني إنهض فضارب القوم . فقال صلى الله عليه وسلم : ومن يطيق ماتطيق أم عماره ؟! .

ثم أقبل الرجل الذى ضرب ولدها ، فضربته أم عماره بسيفها على ساقه ، فبرك إلى الأرض ثم أجهز عليه الصحابة فإبتسم رسول الله وقال : " الحمد لله الذى ظفرك ، وأقر عينيك من عدوك ، وأراك ثأرك بعينيك " وقد أصيبت أم عماره يوم أحد بثلاثة عشر جرحا رضى الله عنها .

لن أعلق على هذه القصة ولكن أدعو أخواتى إلى قراءة كتابى " نداء إلى حواء " إن رغبن قراءة التعليق عليها .

الجنة سلعة غالية

لقد نودى عليها في سوق الكساد ، فما شمر لها إلا أفراد من العباد ....
فواعجبا لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها .... وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ..... وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أنفس

الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين .... وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين .

يقول إبن القيم رحمه الله :

وماذاك إلا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فلله مافي حشوها من مسرة وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المزيد لوفد الحب لو كنت منهم
ولله أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولاهي تسأم
فيانظرة أهدت إلي الوجه نضرة أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله من خيرة إن تبسمت أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيالذة الأبصار إن هى أقبلت ويالذة الأسماع حين تكلم
وياخجلة الغصن الرطيب إذا إنثنت وياخجلة الفجرين حين تبسم
تقسم منها الحسن فى جمع واحد فيا عجب من واحد يتقسم
تذكر بالرحمن من هو ناظر فينطق بالتسبيح لايتلعثم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا فهذا زمان المهر فهو المقدم
وأقدم ولاتقنع بعيش منغص فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي علي جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأي وشطت به أوطانه فهو مغرم
وحي على واد هنالك أفيح وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ومن خالص العقيان لاتتقصم

وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا لمن دون أصحاب المنـــابر يعلم
فبيناهمو في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات ، لايتوهـــم
تجلى لهم رب السماوات جـهرة فيضحك فوقث العرش ثم يكلم
سلام عليكم ، يسمعون جميعهم بآذانهم تـــسليمه أذ يـــسلـم
يقول سلوني ماإشتهيتم فكل ما تريدون عندى إنني أنا أرحـــم
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا فأنت الذى تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جـــمعهم علـــــيه تعالى الله ، فالله أكرم
فيا بائعا هذا ببخس معـــــجل كأنك لاتدرى فالمصيبة أعـــظم

قناعة وبساطة وتواضع

قال علي رضي الله عنه يتحدث عن زواجه من الزهراء لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونضعه علي الناضح بالنهار ومالي ولها خادم غيرها .... ولما زوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم أرسل معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحا عين وسقاء وجرتين .

فجرت بالرحاء حتى أثرت في يدها وإستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها وقمت " كنست " البيت حتى أغبرت ثيابها .

خاتمة المطاف

فى خاتمة المطاف نرفع أكف الضراعة إلى الله بالدعاء : اللهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام ، وعلمتنا الحكمة والقرآن ، ولك الحمد علي ماأنعمت به علينا من نعمك العظيمة ، حيث أنزلت إلينا خير كتبك ، وأرسلت إلينا أفضل رسلك ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس ، وهديتنا معالم دينك ، الذى ليس به إلتباس ، وأكرمتنا بالإسلام خير لباس .

اللهم إنا نعوذ بك من علم لاينفع ، وقلب لايخشع ، وعين لاتدمع ونفس لاتشبع ، ودعوة لايستجاب لها .

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك ، وحب العمل الذى يقربنا إلى حبك .

اللهم إغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم ، وأهدهم سبل السلام ، وجنبهم الفواحش ماظهر منها ومابطن ، وإجعلهم شاكرين لنعمتك مثنين عليك .

اللهم ياعزيز ، ياحكيم ، ياودود ، يارحيم ، نسألك أن تجعل أعمارنا أواخرها ، وخير أعمالنا خواتمها ، وخير أيامنا يوم لقائك ، ونسألك أن تجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وإرحم فى موقف العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت على الصراط أقدامنا ، ونجنا من كرب يوم القيامة وبيض وجوهنا يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ..

اللهم إجعلنا من الذين إذا أحسنوا إستبشروا وإذا أساءوا إستغفروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا إبتليتهم صبروا .

اللهم إنا نسألك إيمانا يباشر قلوبنا حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ماكتبت لنا ، ورضنا من المعيشة بما قسمت لنا .

اللهم بارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا ، وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

اللهم إغننا بالعلم ، وزينا بالحلم ، وأكرمنا بالتقوي ، وجملنا بالعافية .

اللهم ألطف بنا فى تيسير كل عسير فإن تيسير كل عسير عليك يسير .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

يارب

إسير الخطايا عند بابك يقرع ... يخاف ويرجو الفضل فالفضل أوسع

مقر بأثقال الذنوب ومكثر ... ويرجوك في غفرانها فهو يطمع

فإنك ذو الإحسان والجود والعطا ... لك المجد والإفضال والمن أجمع

فكم من قبيح قد سترت عن الورى ... وكم نعم تترى علينا وتتبع

ومن ذا الذي يرجي سواك ويتقي ... وأنت إله الخلق ماشئت تصنع

فيا من هو القدوس لا رب غيره ... تباركت أنت الله للخلق مرجع

ويامن على العرش إستوى فوق خلقه ... تباركت تعطى من تشاء وتمنع

بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى ... توسل عبد بائس يتضرع

أعنى على الموت المريرة كأسه ... إذا الروح من بين الجوانح تنزع

وكن مؤنسى في ظلمة القبر عندما ... يركم من فوقي التراب أودع

وثبت جنانى للسؤال وحجتى ... إذا قيل من رب ومن كنت تتبع

ومن هول يوم الحشر والكرب نجنى ... إذا الرسل والأملاك والناس خشع

وياسيدي لاتخزني في صحيفتي ... إذا الصحف بين العالمين توزع

وهب لى كتابى باليمين وثقلن ... لميزان عبد فى رجائك يطمع

ويارب خلصنى من النار إنها ... لبئس مقر للغواة ومرجع

أجرني أجرني ياإلهى فليس لى ... سواك مفر أو ملاذ ومفزع

وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى من فى القيامة يشفع

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لاإله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى .

(٣) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذرى .

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي .

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين للنووى .

(٦) منهاج المسلم للجزائرى .

(٧) موارد الظمآن لدروس الزمان / عبالعزيز السلمان .

(٨) المناهل الحسان في دروس رمضان / عبدالعزيز السلمان .

(٩) من روائع حضارتنا / الدكتور مصطفي السباعى .

(١٠) أحكام النساء لإبن الجوزى .

(١١) المرأة المسلمة لأبي بكر الجزائرى .

(١٢) تربية الأولاد في الإسلام / عبالله علوان .

(١٣) كتاب الكبائر / شمس الدين الذهبي .

(١٤) الزواج عند العرب / الدكتود عبدالسلام الترمانيني .

(١٥) فقه المرأة المسلمة / ابراهيم الجمل .

(١٦) البيان فى شرح الأربعين النووية / خالد البيطار .

(١٧) أدب المرأة المسلمة / عبده غالب .

(١٨) حجابك أختي المسلمة / رغداء الياقتي .

(١٩) الغيبة والنميمة / حسن بن محمد القرشى .

(٢٠) اللقاء بين الزوجين / عبدالقادر أحمد عطا .

(٢١) إرشاد العباد للإستعداد ليوم المعاد / عزالدين السلمان .

(٢٢) منزلة السنة فى التشريع الإسلامي / محمد أمان الجامي .

(٢٣) العلم والعلماء / محمد الراميني .

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى .

(٣) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذرى .

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي .

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين للنووى .

(٦) منهاج المسلم للجزائرى .

(٧) موارد الظمآن لدروس الزمان / عبالعزيز السلمان .

(٨) المناهل الحسان في دروس رمضان / عبدالعزيز السلمان .

(٩) من روائع حضارتنا / الدكتور مصطفي السباعى .

(١٠) أحكام النساء لإبن الجوزى .

(١١) المرأة المسلمة لأبي بكر الجزائرى .

(١٢) تربية الأولاد في الإسلام / عباالله علوان .

(١٣) كتاب الكبائر / شمس الدين الذهبي .

(١٤) الزواج عند العرب / الدكتود عبدالسلام الترمانيني .

(١٥) فقه المرأة المسلمة / ابراهيم الجمل .

(١٦) البيان فى شرح الأربعين النووية / خالد البيطار .

(١٧) أدب المرأة المسلمة / عبده غالب .

(١٨) حجابك أختي المسلمة / رغداء الياقتي .

(١٩) الغيبة والنميمة / حسن بن محمد القرشي .

(٢٠) اللقاء بين الزوجين / عبدالقادر أحمد عطا .

(٢١) إرشاد العباد للإستعداد ليوم المعاد / عزالدين السلمان .

(٢٢) منزلة السنة فى التشريع الإسلامى / محمد أمان الجامى .

(٢٣) العلم والعلماء / محمد الرامينى .

(٢٤) جهالات خطيرة / عاصم القريوني .

(٢٥) محاضرات في الثقافة الإسلامية / أحمد محمد جمال .

(٢٦) توجيهات إسلامية / محمد جميل زينو

(٢٧) المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين الإبشيهي .

(٢٨) الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة / شعبان محمد إسماعيل .

(٢٩) قرن العيون فى النكاح الشرعى / كنون الإدريسى .

(٣٠) محاضرات فى الثقافة الإسلامية من منشورات مديرية الإفتاء .

(٣١) قرة العينين فى فضائل بر الوالدين / نظام يعقوبى .

(٣٢) دراسات إسلامية معاصرة / أنور الجندى .

(٣٣) تلبيس إبليس / إبن الجوزى .

(٣٤) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح / لإبن القيم الجوزية

(٣٥) أسئلة النساء وأجوبة العلماء / حمزة الفقير وماجد دودين .

(٣٦) إلى الإسلام من جديد / للنووى .

(٣٧) مجموعة من مجلات التضامن الإسلامي التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة .

(٣٨) مسؤولية المرأة المسلمة / عبدالله الجار الله .

(٣٩) بعض أعداد مجلة التذكرة التى تصدرها مدير الإفتاء .

- بالإضافة إلى عشرات الكتب الأخرى التى أفدت منها فى هذه الوصايا سائلا الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل فى ميزان أعمالى يوم القيامة وأدعو بالخير لكل من ساهم أو ساعد فى هذا الكتاب .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أخوكم فى الله

ماجد دودين .

(٢٤) جهالات خطيرة / عاصم القريوني .

(٢٥) محاضرات في الثقافة الإسلامية / أحمد محمد جمال .

(٢٦) توجيهات إسلامية / محمد جميل زينو

(٢٧) المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين الإبشيهي .

(٢٨) الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة / شعبان محمد إسماعيل .

(٢٩) قرن العيون فى النكاح الشرعى / كنون الإدريسى .

(٣٠) محاضرات فى الثقافة الإسلامية من منشورات مديرية الإفتاء .

(٣١) قرة العينين في فضائل بر الوالدين / نظام يعقوبى .

(٣٢) دراسات إسلامية معاصرة / أنور الجندى .

(٣٣) تلبيس إبليس / إبن الجوزى .

(٣٤) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح / لإبن القيم الجوزية

(٣٥) أسئلة النساء وأجوبة العلماء / حمزة الفقير وماجد دودين .

(٣٦) إلى الإسلام من جديد / للنووى .

(٣٧) مجموعة من مجلات التضامن الإسلامي التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة .

(٣٨) مسؤولية المرأة المسلمة / عبدالله الجار الله .

(٣٩) بعض أعداد مجلة التذكرة التى تصدرها مدير الإفتاء .

- بالإضافة إلى عشرات الكتب الأخرى التى أفدت منها فى هذه الوصايا سائلا الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل فى ميزان أعمالى يوم القيامة وأدعو بالخير لكل من ساهم أو ساعد فى هذا الكتاب .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أخوكم فى الله

ماجد دودين .

صدر حديثا عن دار الإسراء للنشر والتوزيع

١ –	نداء إلى حواء	ماجـد نودين
٢ –	ثوابت للمسلم المعاصر	د . صلاح عبد الفتاح الخالدى
٣ –	قواعد وأحكام تجويد القرآن	محمـد علي ملحس
٤ –	القبر عذابه ونعيمه	حسين العوايشه
٥ –	فتاوى معاصرة للمرأة والأسرة المسلمة	د/ يوسف القرضاوى
٦ –	الرجل والمرأة وحقيقة العلاقة بينهما	د/ زهير محمد الزميلى
٧ –	عالم المرأة وهموم المرأة المعاصرة	عصام الحرستانى
٨ –	اجمل مائة قصيدة فى الشعر الاسلامى المعاصر	احمد الجدع
٩ –	اسئلة النساء وأجوبة الفقهاء والعلماء	ماجد نودين ، حمزه الفقير
١٠ –	الشفاء بالحبة السوداء	فرح عبد الحميد القدحى
١١ –	همزات شيطانية وسلمان رشيدى	د /نبيل السمان
١٢ –	علاج الامور السحرية	ابوبكر محمد الحنبلى
١٣ –	للازواج فقط	ماجد نودين
١٤ –	فلسطين فى فكر سيد قطب	احمد الجدع ، يحى غراب
١٥ –	المستخلص فى الطلب النباتى والطبيعى	عثمان محمد منصور
١٦ –	البدائل الربانيه فى علاج الأمراض النسائية	الهام محمد ابراهيم
١٧ –	الموضه فى التصور الإسلامى	فاطمة بنت عبد الله
١٨ –	الطريق إلى الجنة / الجزء	
١٩ –	الطريق إلى الجنة / الجزء	
٢٠ –	الطريق إلى الجنة / الجزء	
٢١ –	وصايا ونصائح للنساء	ماجد نودين
٢٢ –	أشراط الساعة الصغرى والكبرى	الشيخ على على محمد

21777 / 12SR
COL # 341

دار الاسراء للنشر والتوزيع